

كتاب الشعب

سلسلة تحقق اشتراكية الثقافة

٤

أبوليوس

علي فهمي خشيم

الأزاهير

منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان

محمد يوسف الدريشي

الأزاهير

نقـل هذا النص إلى العـربية عن ترجمـة (H . E . BULER) للنص من الـلاتينية إلى الانـكليزية المنشـورة في أوكسفـورد عام ١٩٠٩ م . واسـتفيد من مقدمته وتعليقاتـه ، إلى جانـب مراجـع أخرى .

الرسوم الداخلية : محمد رضـا

كتاب الشعب

الأزاهير

نص : لوكيوس أبوليوس المدوري

تعريب وتقديم : الدكتور علي فهمي خشيم

منشورات
الشركة العامة للنشر والتوزيع والأعلان

العدد ٤ ابريل ١٩٧٩

الطبعة الأولى
١٩٧٩ م

الإهـــداء

إليهـا . . .

مقــدمــــة

لوكيوس أبوليوس المدوري . هكذا يمكن تقديم صاحب (الأزاهير) المعروف في تاريخ الأدب باسم علم واحد : أبوليوس .

أما « لوكيوس » فهو الاسم الذي أطلقه على نفسه في روايته الفذة (الجحش الذهبي) عندما قدم تجربة بطل الرواية باسم المتكلم ، وإن كان لم يثبت له في غيرها من أعماله ، فاتفق الباحثون على تسميته باسم بطل روايته . وأما « المدوري » فنسبة إلى بلدة مدورة بالجزائر عند أعالي وادي مجردة الممتد حتى تونس .

كان ليبيّ الأرومة يتصل نسبه ـ كما يقول في (دفاعه) ـ بقبيلة الغايتولي الليبية من جهة ونوميديا ـ الجزائر حالياً ـ من جهة أخرى . ولد عام ١٢٥ م على وجه التقريب ، ولا يعرف شيء عن تاريخ وفاته ولا مكانها ، وإن كان المرجح أنه توفي

بقرطاجنة استناداً إلى إقامته بها في أخريات أيامه *

كان والده رجلاً غنيًّا ذا منصب مهم في تلك المقاطعة الرومانية في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد ، إذ كان يحمل رتبة « دومفير » dumvir ترك لابنه بعد وفاته ثروة لا بأس بها بددها في سهر الليالي طلباً للعلم والعلى . . . وأشياء أخرى . وقد تلقى أبوليوس تعليمه الأولي في مسقط رأسه ثم انتقل بعدها إلى قرطاجنة العامرة يومذاك . ثم رغب في مزيد من المعرفة فرحل إلى أثينا يواصل دراساته الفلسفية والأدبية . . . وكانت عاصمة الثقافة اليونانية لا تزال يومها مزدهرة ببقية مدارسها الفكرية والعلمية المختلفة . وتنقل بعدها بين أثينا وروما والاسكندرية وطرابلس - المعروفة يومها باسم : أويا - حتى حطت رحاله أخيراً في قرطاجنة حيث استقر به ، فيما يبدو ، المقام .

في أثينا نهل من ينابيع الفلسفة والشعر والخطابة والهندسة والموسيقى حيث وضع أساس تلك المعرفة الموسوعية الهائلة

* لمزيد من التفصيل يمكن للقارىء العودة إلى مقدمة المترجم التحليلية في « دفاع صبراته » - نشر الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان - طرابلس ١٩٧٥ م

التي كثيراً ما فاخر بها وتباهى ، واختلط بكهنتها وفلاسفتها على حد سواء ، وكان أن انجذب إلى تلك المعارف الغنوصيّة ذات التعاليم السرية ، وأخذت عليه العبادات الشرقية التي عمت العالم اليوناني واللاتيني يومها جماع عقله وروحه ، فاندفع إلى البحث في أسرارها واتبع عبادة الربة المصرية القديمة « إيزيس » وانتسب إليها .

في روما تابع اتصاله بكهنة إيزيس ثم أضاف إليها عبادة « أوزيريس » ـ وكان أن أنفق ماله الوفير في إرضاء جشع الكهنة حتى يحصل على أسرار كهنوت تلك العبادة ، إلى أن اضطر للعمل محامياً في عاصمة الرومان ليغطي نفقاته ويدفع ما كان يطلبه الكهنة من مال .

في الاسكندرية يبدو باحثاً عن أسرار الآلهة المصرية القديمة وهو يغوص في مكتبتها العظيمة ويغرق نفسه في عوالم السحر وأسراره مما عرف به بعد ذلك واشتهر .

وفي أويا كانت قصته المشهورة حين اتهم باستعمال السحر ليستحوذ على أرملتها الطروب ، بودنتيلاّ ، تلك الثرية الجميلة ، وقدم إلى المحاكمة ليلقي أمام قضاته في قاعة محكمة

صبراتــه تلك القطعــة الأدبية الرائعــة المعروفــة باســم « الدفاع » .

ثم نجـده في قرطاجنـة كبـيراً لكهنتهـا ، مبجـلاً محترمـاً مقدراً . . . حتى مات . وكانت شهرته قد بلغت الآفاق في أثناء حياته واستمرت من بعد موته على مر الزمان . كان اسم « ابوليوس » يتردد على الألسنة مع خلاف فيه كبير ـ بين مادح وقادح . رآه البعض فيلسوفاً مفكراً أديباً أريباً ، ونظر إليه آخرون باعتباره مشعوذاً دجّالاً ، رفعه البعض إلى ذرى المجد في عالم القلـم والقرطـاس ، وهبـط به آخـرون إلى الـدرك الأسفل استناداً إلى بعض ما كتب وما نسب إليه . بيد أن مما لا ريب فيه ذيوع صيت أبوليوس بقـدر هائـل من التقـدير والتقديس جعـل مواطنـه المعـروف « القـديس أوغسطـين » يكتب مندداً : « إن الجرأة لتبلغ بأعداء النصرانية حد المساواة في الرتبة بين ابوليوس وبين المسيح ، بل هم قد يرفعونه فوقه درجات » . ورغم سخط القديس أوغسطين على ابن بلده من حيث العقيدة ، فإنـه لـم يملك سوى الاعتـراف به في عالـم الأدب على أساس انه كان « خطيباً عظيماً » ـ كما يقول .

ترك أبوليوس جملـة من المؤلفـات والمصنفـات في أبـواب

الفلسفة والرواية والخطابة تعتبر ، بحق ، من أروع ما عرفه الأدب اللاتيني على الاطلاق وتفرد لصاحبها مكانه البارز في عالم الخلود . وقد ضاع جزء كبير من هذه المؤلفات ، غير أن بعضاً منها قاوم الزمان حتى بلغنا في اللاتينية ثم مترجماً إلى عدة لغات أوروبية حديثة . ومن جملة آثار أبوليوس التي أبقى عليها الزمان تقف ثلاثة في المقدمة هي الأشهر والأعرف :

أولها : التحولات Metamerphoses - ذلك العمل الروائي المعروف باسم (الجحش الذهبي) يروي فيه قصة تحول بطله إلى جحش عن طريق السحر حين رغب في معرفة غوامضه ، ويحكي ما جرى له من أحداث وما صادفه من أحوال ومرّ به من ظروف . قصة غريبة فريدة تتحدث عن مجتمعات عجيبة وأنماط متميزة من البشر في ذلك العصر بتصوير دقيق ، تبلغ فيها السخرية حدّها وتصل صراحة التعبير ، أو بذاءته ، درجة تخدش - أحياناً - حياء القارىء ، لا تصدر ، كما عبر بعضهم ، إلا عن « جحش » حقيقي !

وثانيها : الدفاع Apologia - مرافعة أبوليوس البليغة في صبراته ، الذائعة الصيت ، الرائعة الأسلوب ، المشحونة

بالدعابة والحكمة والشواهد والاقتباسات ، الملأى بالمنطق والسفسطة على حد سواء .

وثالثها : الأزاهير Florida ـ هذه التي بين يديك . وهي مجموعة خطب وأحاديث ـ أو بالأحرى شذرات منها ـ ألقاها أبوليوس كما يرجح في أثناء إقامته الأخيرة في قرطاجنة ، جمعت في كتاب واحد وحفظت لنا على مرّ الأيام . وإذا كان تاريخ هذه الأحاديث يبدو عسيراً تحديده ، فإن بعضها ، على الأقل ، يمكن تأريخه بحكم النص ذاته . فالحديث السابع عشر كتب في أثناء قنصلية سكيبيو أورفتيوس ما بين عامي ١٦٣ ـ ١٦٤ م . بينما يحوي الحديث التاسع مديحاً للحاكم العام سفيريانوس الذي تولى منصبه في فترة ما أيام حكم القيصرين ماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس ما بين عامي ١٦١ ـ ١٦٩ م ويشير الحديث السادس عشر إلى آية ليانوس سترابو الذي كان قنصلاً عام ١٥٦ م . ولم يكن يومها أصبح حاكماً عاماً لأفريقيا بعد . فإذا عرفنا أن المدة ما بين القنصلية والحكم العام تمتد من عشر سنوات إلى ثلاث عشرة سنة أمكن إدراج هذا الحديث إما قبل عام ١٦٦ م . أو عام ١٦٩ م .

في « الأزاهير » يبدو أسلوب أبوليوس المتوهج بالحرارة الممزوج بالدعابة المتنوع المعارف والثقافة . ونحن إذا كنا قرأناه في « الدفاع » يصول ويجول مدافعاً عن نفسه مهاجماً خصومه الجهلة الأجلاف الحاقدين ويستعرض في الوقت نفسه حذقه البلاغي ومهارته الخطابية وقدرته المنطقية، فإننا نرى الروح ذاتها في « الأزاهير » مع بعض الاختلاف في الموقف والظروف .

في « الدفاع » كانت المسألة قضية حياة أو موت . كان يحمي عنقه ويدحض تهم خصومه في موضوع واحد متسلسل ؛ فنراه يورد الحجة تلو الحجة ثم يفند هذه وتلك ويغوص في أعماق معارف عصره ، ويحلل القضايا المطروحة في إسهاب مستطرداً من موضوع إلى آخر ، ثم يعود إلى أصل القضية من جديد . هناك كانت قضية معروضة وكانت فرصته الذهبية ليبين عن براعته متفلسفاً وخطيباً وشاعراً وناثراً ويأخذ بألباب سامعيه . وكان في بلد أبدى بعض أهله عداءهم نحوه وأظهروا تحديهم له ، فكان عليه أن يذود عن نفسه وعن الفلسفة أيضاً ويرد التهمة ويكيل الصاع صاعين . كان شرساً في بعض الأحيان إلى حد الوقاحة ،

ساخراً من أخصامه ، مستهزئاً بهم وبتلفيقاتهم . كان في « دفاعه » مهاجماً بكل معنى الكلمة .

أما في « الأزاهير » فإننا نلقاه هادئاً ، عالماً يلقي محاضراته على سامعيه وهو واثق من انبهارهم بما يقول . ولا عجب . . . فقد نال كل ما كان يبغيه من تقدير أهل قرطاجنة التي قرر مجلس مدينتها إقامة تمثال له تكريماً وتشريفاً . وأين هذا من عراكه مع أهل أويا ـ كما يقرر القديس أوغسطين ـ حول إقامة تمثال له ؟!

لكنه في الحالين كان يتحدث إلى قرويين ، أو أشباه متعلمين على كل حال . وهذا ما جعله يحس بأن سامعيه لم يكونوا نقاداً قادرين على تمحيص كلامه . فكان يلقي القول كما يحلو له ، ولا يهم أن ينزلق لسانه بخطأ في اسم علم أو نسبة شعر إلى قائله أو مثل مضروب .

يبدو أبوليوس في « الأزاهير » على طبيعته المعروفة ، جوالاً هنا وهناك . وهو قد يكون حاطب ليل ، بيد أنه حاطب غير خاوي الوفاض . فهو بأسلوبه الجذاب المركز أحياناً المستطرد المسهب أحياناً أخرى ، وسيطرته على جمهور المنصتين ، وقدرته على اختلاب السامعين ، نموذج للخطيب

المتفلسف في ذلك العصر البعيد .

نحن هنا نعيش عالماً آخر من صور الثقافة اللاتينية التي لم تتخلص بعد من تأثير اليونان الفكري حتى ذلك الحين . فهذا الرجل الليبي الافريقي الذي كان يعيش تحت ظل الحكم الروماني لا يجد في أغلب أحاديثه إلا فلاسفة اليونان وشعراءهم وفنانيهم ونحاتيهم ورساميهم ، بل وقادتهم وطغاتهم ، ليرصّع حديثه بذكرهم وقص الروايات عنهم والاستشهاد بأخبارهم ، وهو واجد قوماً يصغون إليه ويقدرون ما يقول . هل يكون في هذا الاصغاء ذلك الصراع القديم العنيف بين روما وقرطاجنة ؟ هل هو التحدي الكامن لحكم الرومان يجعل أبوليوس - ابن قبيلة الغايتولي الليبية - يلجأ إلى اليونان ويزهو بهم كأنما الأمر نكاية بالرومان الذين دمروا قرطاجنة عسكرياً وإن لم ينهوا روح المقاومة فيها بعد ؟

هذا جائز ، ومن الممكن ملاحظة أن أبوليوس في مديحه للحاكم الروماني كان يتحدث عن معاني العدل والسماحة والسهر على شؤون الولاية والعناية بصالح أهلها . وهذه معانٍ كان يرمز إليها ويومىء دون الدخول مباشرة في مناقشة الأوضاع السائدة في موطنه أو التعرض للحكم الروماني .

بيد أنه لا يتردد في وصف الاسكندر الأكبر - ممثل العبقرية العسكرية اليونانية - بأنه « أعظم الملوك طرًّا » ولا يشيد في الوقت عينه بقياصرة روما إلا عرضاً . وإذا كان بعض أحاديثه هنا ألقي في أثناء حكم ماركوس أوريليوس ، ومجّده ورفيق حكمه ، فهو ربما فعل إعجاباً منه بماركوس أوريليوس الفيلسوف أكثر من إعجابه بالأمبراطور ، فقد كان أوريليوس آخذاً بطرف من الفلسفة اليونانية هو الآخر إلى جانب توليه الحكم .

إن كاتبنا لا يترك فرصة تمر دون العودة إلى تراث اليونان والاستشهاد بثقافتهم وحضارتهم . في حديثه الأسطوري عن الموسيقى مثلاً يورد قصة مارسياس وتحديه لأبوللو رب الفنون والشعر والغناء (حديث رقم ٣) وعند كلامه عن الغنى والفقر يستشهد بالفيلسوف كراتيس الكلبي مرتين (١٤ ، ٢٢) وحين يشير إلى قصة رمزية يقتبسها من عيسوب اليوناني (٢٥) ، فإذا تكلم عن المسرح كان مثله فيه فيلمون (٢١) تماماً مثلما يفعل عندما يتعرض للحجج السوفسطائية ومشاهير أعلامها (١٨) . وطبيعي أن يعود لأفلاطون وسقراط وطاليس وفيثاغوراس وغيرهم من الأسماء اللامعة في

تاريخ الفلسفة اليونانية . وهكذا يفعل في كل موضوع تقريباً ، ولا يتعرض للاتين أو الرومان إلا عند مدح حاكم أو تمجيد قنصل (٨ ، ٩ ، ١٧) . بل إن الأحاديث نفسها ـ فيما يبدو من الخاتمة ـ كانت في أغلبها باللغة اليونانية ثم ينتقل بعدها ، ولعلها مجاملة ، إلى اللغة اللاتينية مبرراً هذا الانتقال بأن « اللغة اللاتينية ، كاليونانية ، بالغة الحجة ، ملأى بالدعابة ، غنية البيان ، بديعة الأسلوب ! » (٢٦) .

وهذا لا يبعث على الدهشة من أديب يحسب على اللاتين ، فإن منشأ هذ الأديب في مستعمرة رومانية ، والتصاقه بالثقافة اليونانية ، مضافاً إليه حسه القومي ، يبرر هذا المسلك . فإذا ما تحدث باللاتينية بعد ذلك لوحظ في لغته ذلك العنصر الأفريقي ـ الليبي مما هو موضع دراسة الباحثين ودفع بعضهم إلى القول بأن أبوليوس ـ مثله في ذلك مثل تيرينس Terence ـ امتلك لغة خاصة به ذات أصول سامية واضحة ، سواء من حيث التركيب أو من حيث المفردات والألفاظ .

كان أبوليوس خطيباً إلى جانب كونه كاتباً . والخطابة

توجب قوة العبارة وسلاستها معاً وتدفع بصاحبها إلى محاولة اجتذاب الأسماع والأنظار أيضاً بذلك الرنين المنبعث عن تماوج العبارات وتداخل التعبيرات ، وصفاً أو تصويراً للموضوع . فلنقرأ بعض فقراته من (الأزاهير) مثالاً لما ذكرناه :

في وصف النسر : « إن النسر ليحلق عالياً في الجو حتى يبلغ السحب ذاتها ، ويمتطي صهوة قوادمه خلال ذلك الفضاء كله حيث المطر والثلج ومناطق ليس وراء علوها الشاهق مكان للصواعق والبروق ، بل إلى ذروة طبقات السماء وأعلى حد عواصف الأرض . وحين يبلغ قمة هذا الارتفاع الشاهق يدير جسده الضخم بحركة لطيفة لينحدر يسرة أو يمنة ، موجهاً جناحيه كالقلاعين إلى حيث يشاء بحركة ذيله الذي هو رغم صغره بالنسبة له كدفة السفينة » .

وفي وصف تمثال : « يصور التمثال شابًّا على قدر كبير من الجمال ، فرق شعره عند منتصف جبينه

لينحدر على كلا خديه . وقد طال شعر رأسه حتى بلغ كتفيه مغطياً عنقه الذي يلاحظ المرء بياضه من بين ثنايا خصل الشعر . العنق مكتنز ، والفكان ممتلئان ، والوجنتان ناعمتان ، وغمازة في منتصف الذقن . وقد اتخذ وضع اللاعَب على القيثارة ، وهو ينظر إلى الربة بهيئة المغني ، في حين ينحدر رداؤه المطرز حتى قدميه . . . يداه رقيقتان مستدقتا الأطراف ، تلمس اليسرى منهما الأوتار بأنامل منفرجة واليمنى في وضع العزف تقترب من القيثارة بالمضراب . . . والأغنية نفسها تبدو كأنها تنساب من الفم الدقيق الذي انفرجت شفتاه بالتطريب » .

وفي وصف موت الشاعر : « . . . فلما طال جلوس القوم مدة تجاوزت الحد المعقول من الوقت ولم يظهر بعد أرسل بعض الحاضرين الأكثر نشاطاً لاحضاره . فألفوه ممدداً في فراشه . . . ميتاً ! كان قد أطلق آخر أنفاسه وتمدد في سريره متصلباً جامداً . كانت أنامله لا تزال مطبقة على كتابه ، وفمه ملتصقاً بالصفحة

التي كان يقرأها ! » .

في وصف تغريد الطيور : « طيور السنونو مثلاً تغرد في الصباح ، وزيز الحصاد يغني عند الظهيرة ، وبومة الليل تنعق في الهزيع الأخير منه، وأم قويق في المساء ، والبومة القرناء في منتصف الليل ، والديك يصيح عند الفجر . والحق أن هذه الحيوانات تبدو كأنها اتخذت ميثاقاً فيما بينها تتقاسم فيه الأوقات والتغريد بألحانها ؛ فصياح الديك صوت يوقظ الناس من فرشهم ، والبومة القرناء تنعق ، والبومة الصراخة تزعق ، وبومة الليل تصيح : توت . . . توهو ! » .

وهكذا نجد أبوليوس في أغلب فقرات « الأزاهير » ميالاً للوصف ودقة التصوير . وهذا الأسلوب هو الذي ميزه وجعل لما يكتب طعماً خاصاً تتجلى فيه شخصيته المسيطرة على السامع والقارىء ، ولعل تزاوج الخطابة والكتابة عنده كان سبباً مباشراً في طبع آثاره بهذا الطابع الخاص .

وتظل « الأزاهير » مع هذا قطوفاً من المعارف والحكم

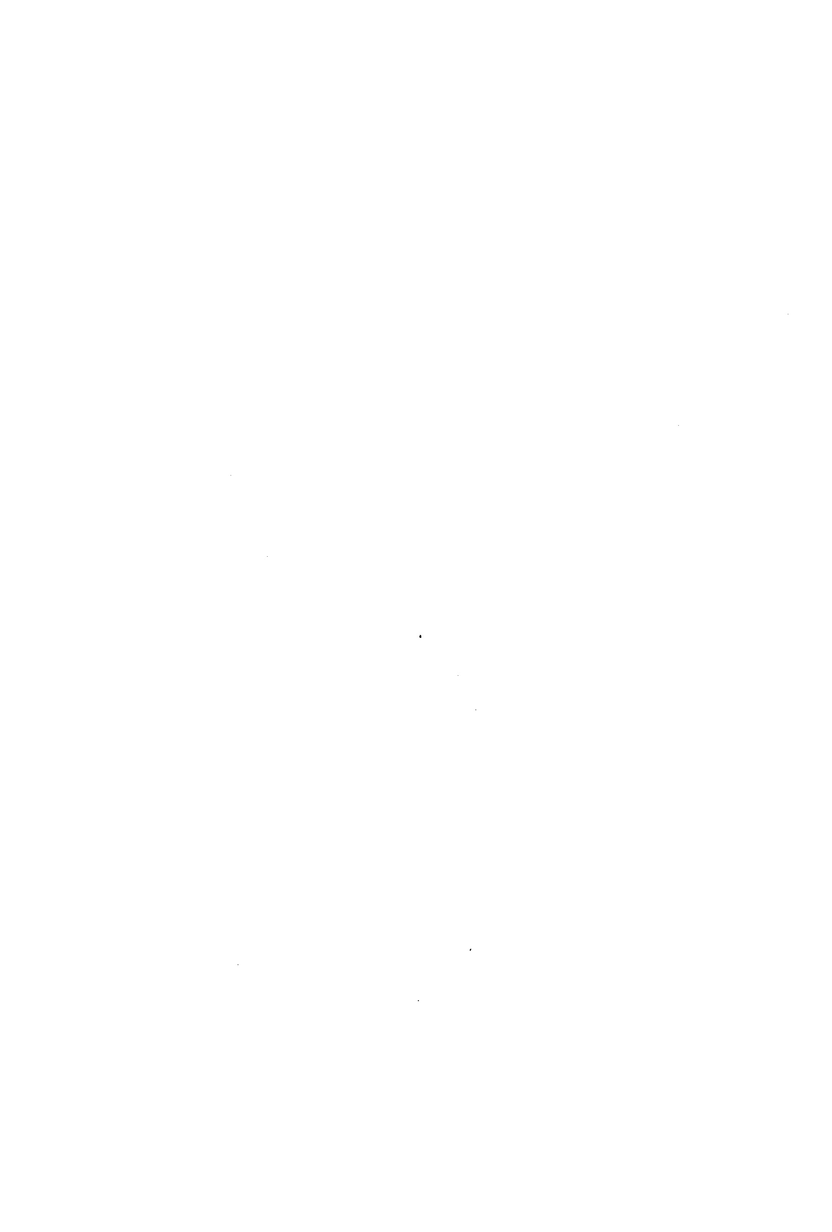
والحكايات الأدبية والطرف والنوادر عن الحكام والقادة والفلاسفة والأدباء والشعراء وكتاب المسرح والموسيقى والقصص الرمزية ، إلى جانب صور المديح والفخر والحياة السياسية والفكرية والفنية في شمال أفريقيا يومذاك .

وبعد . . .

فها هي « الأزاهير » بين يديك . . . أرجو أن تجد فيها المتعة والفائدة .

علي فهمي خشيم

طرابلس في ١٠ ديسمبر ١٩٧٨ م .



١) فاتحـــة حـديـث
ألقاه أبوليوس في مدينة مرّ بها في أثناء رحلة لـه

من عادة عابري السبيل أهل العاطفـة الـدينية أن يتلـوا صلاة ، أو يقدمـوا تفاحـة ، إن مرّوا في طريقهـم بغيضة مقدسة أو مكان طهـور ، وأن يتوقفـوا هنيهـة عن متابعـة السير . وإنـي لأشعـر ، وأنـا أدخـل أسـوار مدينتـكم المبجلة ، أن علي سؤالـكم ، رغـم عجلـة أمـري ، فضـل السماح لي بإلقاء حديث وأن أوقف من سرعة ترحالي . وليس في وسعي تخيل أي شيء يمكن أن يقدم للمسافر سبباً أهـم لوقوفه موقف الاحترام ؛ لا نصباً تتوجه الزهور ، ولا كهفاً تظلله أوراق النبات ، ولا شجرة سرو يزينها الروق ، ولا شجرة زان مكللة بجلود الحيوانات، ولا رابيةً يعلن سياج النبت الذي يطوقها عن حرمتها ، ولا ساق شجرة نمت على سمة إلّه ، ولا مرجاً لا يزال خضلاً بقربان خمر مسكوب ، ولا

حجراً يسيل بدهون فاخـر ، ولأن هذه ليســت سوى أشياء صغيرة ، رغم وجود من يسعى إليها ويعبدها ، فإن معظـم الناس لا يلقون إليها بالاً ويمرون بها دونما اهتمام .

٢) بصر الإنسان مقارناً ببصر النسر

. . . بيد أن رأي أستاذي (سقراط) لم يكن على هذا المنوال . فحين رأى ذات مرة شاباً حسن المنظر ، لبث مدة لا ينبس ببنت شفة ، قال له : « قل شيئاً حتى يمكنني أن أعرف ماذا تكون ! » إذ كان (سقراط) يشعر بأن المرء الذي لا يتكلم مطلقاً هو ، بمعنى من المعاني ، إنسان خفي ؛ فقد كان من رأي (سقراط) إنه لا يحب النظر إلى الرجال بأداة الرؤية البدنية بل يعين الفكر وبصر النفس ، وهو اختلف في هذا الأمر مع جندي (بلاوتوس) الذي يقول :

« رجل واحد بعينين
خيرٌ شاهداً من عشرة ذوي آذان »

والحق أنه لكي يمتحن الرجال عكس بالفعل معنى البيت إلى :

« رجل واحد بأذنين

خيرٌ شاهداً من عشرة ذوي عيون »

وفضلاً عن ذلك إذا كانت أحكام العين أقوم من أحكام النفس لوجب علينا الاقرار بأن حكمة النسر هي الأفضل . ولأننا نحن البشر لا نستطيع رؤية شيء بعد عنا كثيراً ، كما لا نرى ما كان قريباً منا كل القرب ، فإننا جميعاً عميانٌ إلى حد ما .

ولو قيدتمونا بالعينين وحدهما ورؤيتهما الأرضية المعتمة فإن كلمات الشاعر العظيم تصبح حقيقية للغاية من أن سحابة تسكب على عيوننا فلا نستطيع أن نرى إلى أبعد من مرمى حجر . إن النسر يحلق عالياً في الجو حتى يبلغ السحب ذاتها ، ويمتطي صهوة قوادمه خلال ذلك الفضاء كله حيث المطر والثلج ومناطق ليس وراء علوها الشاهق مكان للصواعق والبروق ، بل إلى ذروة طبقات السماء وأعلى حد عواصف الأرض . وحين يبلغ قمة هذا الارتفاع الشاهق يدير جسده الضخم بحركة لطيفة لينحدر يسرة أو يمنة ، موجهاً جناحيه كالقلاعين إلى حيث يشاء بحركة ذيله الذي هو ، رغم صغره ، بالنسبة له كدفة السفينة . ثم يحدق إلى أسفل نحو الأرض ، موقفاً لفترة ما تجديف جناحيه الدؤوب عند ذلك

الارتفاع العظيم ، متوازناً يكاد يكون دون حراك سوى رفرفة التحويم ، وينظر حوله في كل صوب باحثاً عن أية فريسة يختارها لينقض عليها فجأة كالصاعقة من السماء العليا . بنظرة واحدة يرى كل قطعان الماشية في الحقل ، وكل حيوان على الجبال ، والناس جميعاً في مدنهم ، وكلهم مهدد في تلك اللحظة بانقضاضه عليه ، ثم يهوي ليطعن بمنسره ويقبض بمخلبيه ذاك الحمل الآمن أو الأرنب الوديع ، أو أي كائن حي يصادف جوعه أو مخلبيه !

٣) قصة مارسياس وتحديه لأبوللو

كان (هياغنيس) ، كما تقول الرواية ، والد الزمّار (مارسياس) ومعلمه ، وقد بزّ الجميع ببراعته في الغناء ، عندما كانت الموسيقى لا تزال في نشأتها الأولى . وحقيقي أن صوت نَفَسِهِ ، حتى تلك اللحظة ، كان يعوزه الترخيم الجميل . فهو لم يعرف سوى أنغام ساذجة ولم يكن في مزماره سوى وقفات قليلة . ذلك لأن هذا الفن كان حديث الولادة لا يزال في بداية نموه . وما من شيء يمكنه بلوغ الكمال في بدايته الأولى ، فكل شيء يجب أن يبدأ بالتحكم في أصوله وعناصره قبل أن يصل إلى مرحلة الخبرة والنجاح . حسن اذن . فقبل (هياغنيس) لم يكن الموسيقيون يستطيعون عمل شيء أكثر مما يفعله رعاة أغنام أو رعاة بقر (فرجيل) الذين :

« أرسلوا أنغاماً حزينة على مزامير القش النحيلة».

لو أن أيّاً منهم بدا وكأنه حقق تقدماً فعليّاً في هذا الفن ،



حتى وإن لعب على مزمار واحد ، أو بوق واحد ، فحسب . كان (هياغنيس) أول من باعد ما بين يديه عند العزف ، وأول من ملأ مزمارين بنفس واحد ، وأول من استخدم أنامله للوقفات في عزفه بأي من يديه الاثنتين وأصدر انسجاماً حلواً ما بين النغمة الثلاثية الحادة ودوي القرار العميق . وكان (مارسياس) ابنه . وهو رغم تملكه لمهارة أبيه في العزف على المزمار فقد كان في ما عدا هذا بربريًّا من (فروجيا) ذا عثنون قذر ووجه حيواني أشعث بشع . كان جسده كله مغطًّى بشعر خشن . ومع هذا ! يا للسموات الطيبة ! ـ قيل إنه جاهد ليتبارى و (أبوللو) ويتبوأ مكانته . كان القبح يباري الجمال . جلف فظ في مواجهة حكيم . حيوان شرس مقابل إلّه . وقد وقفت (عرائس الفن) والربة (منيرفا) لاصدار الحكم ، وقد أخفين ضحكاتهن ، ليسخرن من ادعاء هذا الوحش الفظيع ويعاقبنه على بلادته . غير أن (مارسياس) وهو ذلك الأحمق الذي لا مثيل له ، لم يدرك انه كان موضع السخرية . وقبل أن يشرع في نفخ مزاميره تفوّه متلعثماً ببعض عبارات الفخر في رطانته البربرية عن نفسه وعن (أبوللو) . فاخر بلبدة الشعر الملقاة خلفاً من جبهته ، وبعثنونه الأشعث وشعر صدره الملبّد ، وببراعته

في العزف على المزامير ، وبفقره . وعلى النقيض من هذا ـ ويا لسخافة الأمر ! ـ عاب (أبوللو) بضد هذه الصفات ، عابه لكونه (أبوللو) وبارساله شعر رأسه طويلاً مسترسلاً ، وبأنه ذو وجه مليح وجسد ناعم ، وبنبوغه في جملة من الفنون ، وبيسر حاله ووفرة ماله . قال : « بادىء ذي بدء فإن شعره نُعِّمَ وجُدِّل خصلاً تتماوج على جبينه وتنسدل معلقة حول محيّاه . وإن جسده أبيض من قمة رأسه إلى أخمص قدميه . وأطرافه تشع بالبهاء . ولسانه ينطق بالوحي . وهو فصيح الشعر بليغ النثر ، أيهما شئت . وما بال ثيابه دقيقة النسج ، ناعمة الملمس ، تسطع باللون الأرجواني ؟ ما بال قيثارته مشعة بلون الذهب ، متلألئة ببياض العاج ، متألقة بجواهر قوس قزح ؟ ما بال أغنياته أريبة حلوة ؟ كلا ! إن هذه المفاتن كلها لا تتفق مع شيء سوى البذخ والرفاه . إنها ، بالنسبة للفضائل ، لا تجلب سوى العار ليس غير » . ثم مضى بعد ذلك يعرض جسده باعتباره مثال الكمال . وقد ضحكت (عرائس الفن) لما سمعنه يشين (أبوللو) لحوزته مثل هذه العطايا

التي يتمنى كل حكيم أن يحوزها . وحينما هزم هذا المزمار المتفاخر في المباراة وسلخ جلده كأنما هو خنزير ذو قدمين اثنين ، مضى الجميع عنه وامعاؤه ممزقة معرضة للهواء . هكذا غنّى (مارسياس) من أجل هلاكه ، وهكذا كانت سقطته ، أما (أبوللو) فقد كان خجلاً من هذا الانتصار غير المجيد !

٤) الزمار (انتجنيداس)

كان ثَمَّ زمار يدعى (انتجنيداس) وكانت انغامه توافقـاً لحنيّاً لذيذاً كالشهد ، كما كان بارعاً في صناعة الموسيقى على كل نمط من الأنماط أيها تخيرت ، النمط(الأيولي) البسيط أو (الايونـي) المعقّـد أو (الليدي) النائـح أو (الفروجـي) الخشوع ، أو (الدوري) العسـكري . وقـد قال ، وهـو أشهر من عزف على المزمار ، إنه ما من شيء آلمه وكدّر صفو قلبه وروحه أكثر من حقيقة كون نافخي البـوق في الجنائـز يكرّمون باسم « الزمارين » . لو أنـه شاهـد تمثيل المقلـدين لاحتمل تطابق الأسماء هذا بثبات ! كان سيلحظ أن القضاة الذين يتصدون المسرح ، والممثلين على الركح ممن جاؤا من أجل تضارب مليح بالهـراوات ، يرتـدون في الواقـع الثياب الارجوانية ذاتها . لو أنـه شاهـد أيضـاً العابنـا ! إذن لرأى واحداً يتصدر وآخر يعارك ، ومع ذلك فالاثنـان يتقـاسمان معنى الانسانية المشتركة نفسهـا . كان سيلحـظ أن العبـاءة

الرومانية يرتديها من يقدم نذراً للسماء والممدد ميتاً فوق النعش على حد سواء ، وأن اللفاع الأغريقي يستعمل لتكفين الميت ، تماماً كما يستخدم في كساء الفيلسوف !

٥) قطعة من افتتاحية حديث ألقي في مسرح

لقد جئتم إلى هذا المسرح ، وأنا أشعر بالثقـة في هذا ، بخير إرادة في العالم . فإنكم تعلمون أن أهمية خطبة ما لا تعتمد على المكان الذي تلقى فيه ، بل إن ما ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار اول الأمر هو : « أية صورة من صور المتعة سوف يقدمها المسرح ؟ » لو كان تمثيلاً تقليدياً لضحكتم . فإن كان مشياً على الحبل لارتعدتم خشية أن يسقط الماشي . ولو كان ممثلاً هزلياً لحييتموه بالتصفيق . أما إن كان فيلسوفاً لتعلمتم شيئاً منه !

٦) الهند والحكماء العراة

الهند بلد آهل بالسكان واسع المساحة . وهي تقع بعيداً عنا إلى الشرق ، قريباً من حيث يدور المحيط على نفسه وحيث تشرق الشمس ، على تلك الحافة حيث يلتقي آخر الأرض وأول نجوم السماء . إنها تقع بعيداً جدًّا ، فيما وراء المصريين العلماء ، ووراء اليهود المؤمنين بالخرافات وتجار (نبطية) * . ووراء بني (ارساكيس) ** في أثوابهم الطويلة الفضفاضة ، و(الايتوريين) *** الذين لا تمنحهم الأرض سوى النزر القليل من الغلال ، والعرب من كانت عطورهم هي ثروتهم . إنني لا أعجب كثيراً من مخازن العاج الذي يملكه هؤلاء الهنود ، ولا من محاصيلهم من

---

* مملكة النبط العربية ، كانت عاصمتها البتراء - في الأردن الآن .

** المقصود مملكة بلخ القديمة (أنظر : الاعلام) .

*** نسبة إلى ايتوريا ETYREAE منطقة تحت جبال حرمون في فلسطين .

الفلفل ، وما يصدرونه من القرفة وصلبهم الدقيق الصناعة ، ومناجم الفضة لديهم أو أنهار الذهب . انني لا أعجب كثيراً من أن لديهم في نهر (الغانج) أكبر جميع الأنهار ، ذاك الذي هو :

« سيد جميع مياه الشرق
ينفصل ويتفرع إلى مائة جدول
مائة واد أوديته ومائة مصبّ
ومائة ضعف فيضانه
الذي يلقى لجة البحر » .

كما لا أستغرب من أن الهنود الذين يقطنون عند بوابات النهار ذاتها هم رغم هذا في لون الليل . إنني لا أعجب أيضاً من أن في بلادهم أفاع ضخمة تشتبك في معركة مع فيلة جسيمة كلاهما خطر على الآخر وكلاهما مهلك لصاحبه . فإن تلك الأفاعي تحتوي فريستها وتوثقها في طيات مراوغة حتى لا تستطيع فك أقدامها أو أن تكسر بأية طريقة من الطرق تلك الأغلال الصلبة من هذه الحيات المتعلقة بها في ثبات . بيد أن الفيلة لا تعدم وسيلة لتثأر من عدوها ، وذلك

بأن تلقي بكتلة جسدها الهائلة على الأرض فتهرس الخصم القابض عليها بثقل الجسد كله . إنني لأود أن أتحدث عن عجائب البشر أكثر من حديثي عن عجائب الطبيعة . فسكان هذه البلاد ينقسمون إلى عدة طوائف ؛ منهم طائفة مهارتها الوحيدة في رعاية قطعان الثيران ، ولذا يعرف ابناؤها باسم (رعاة الثيران) وثمّ آخرون برعوا في مقايضة التجارة ، وآخرون محاربون أشداء برعوا في القتال عن بعد بالسهام كما في الالتحام بالسيوف . ثم هناك طائفة هي بصفة خاصة أدعى للنظر . إنهم يسمون (الحكماء العراة) . وأشد ما أعجب بالنسبة لهؤلاء ! إنهم حذاق ـ لا في استنبات الأعناب أو تطعيم أشجار الفاكهة أو حرث التربة . فهم لا يعرفون كيف تزرع الحقول، أو يغسل التبر، أو يكبح جماح الخيول ، أو ترويض الثيران ، أو تجز أو تطعم الضأن أو الماعز . ما هو إذن مبعث تميزهم ؟ إنه هذا : شيء واحد يعرفونه يفوق كل ما يجهلون . إنهم يمجدون الحكمة عند أي كانت ، الكبير الذي يعلم والصغير الذي يتعلم . وليس من شيء يمكنني أن أزكيه فيهم أكثر من مقتهم أن تكون عقولهم عاطلة بليدة . وعليه ، فحين توضع المائدة في مكانها ، وقبل أن يقدم الطعام فإن جميع الشباب يغادرون بيوتهم ويتركون

أعمالهم قاصدين المأدبة . ثم يسأل الشيوخ كلا منهم ماذا قدم من عمل طيب ما بين شروق الشمس وتلك الساعة . فيقص أحدهم كيف اختير حكماً بين اثنين من صحابه فحسم عراكهما ، وأصلح ذات بينهما ، وأبعد شكوكهما ، وجعل منهما صديقين بدلاً من أن يكونا عدوين . ويحكي آخر كيف أطاع بعض أوامر والديه ، ويروي غيره اكتشافاً ما أوصلته إليه تأملاته أو معرفة جديدة اكتسبها من شرح سواه . وهكذا مع بقيتهم . . كل يحكي قصته . أما من لا يستطيع تقديم سبب وجيه لاشتراكه في الحفل فيدفع بسرعة خارج الباب ليمضي إلى عمله ، صائماً !

٧) عن « الاسكندر » والفلاسفة الزائفين

اكتسب (الاسكندر) الشهير ، أنبل الملوك طراً ، لقب « الأكبر » نتيجة لما قام به من أعمال ، والامبراطورية التي بناها ، ومن هنا وجب أن لا يذكر أبداً اسم الرجل الذي نال مجداً لا نظير له دون أن يقرن بكلمة المديح . إذ هو وحده منذ بدء الزمان ، وحده بقدر ما تسجل ذاكرة الإنسان ، أثبت ـ بعد أن فتح امبراطورية على اتساع رقعة العالم كما لا يمكن أن يفوقه أحد ـ إنه أعظم من طالعه . لقد تحدى بقوته أكبر نجاح باهر أمكن أن يمنحه طالعه إياه ، وساوى بينهما بجدارته ، وتجاوزهما معاً بمناقبه ؛ إذ تفرد بمجد لا مثيل له حتى لا يجرؤ أحد على مجرد الأمل في مثل فضله أو تمنّي مثل حظه . وقد اتسمت حياة (الاسكندر) هذا بكثير من جلائل الأعمال ومحاسن الفعال ، سواء كانت بسالةً في ميدان الوغى أو حسن سياسة في ايوان الحكم ، فتعجب منها حتى ليضنيك العجب . إنها قصة كل جلائل الأعمال هذه

تلك التي حاول صديقي (كليمنيس) ـ أكثر الشعراء علماً وأرقهم ـ أن يمجدها في أبيات شعره الرائعة .

من الأعمال العجيبة التي سجلت عن (الاسكندر) انه ، رغبة منه في وجوب أن تنقل صورته إلى الأجيال من بعده بأقل قدر ممكن من الاختلاف ، رفض السماح بأن تحرف على أيدي كثرة من الفنانين ، وأصدر أمراً إلى كل الممالك التي كانت تحت حكمه بأن لا يقلد أحد دون رؤية صورة الملك في تمثال من البرونز أو بألوان رسام أو بإزميل نحات . (بوليكليتوس) * وحده كان له أن يصوره في تمثال برونزي ، و (أبيليس) وحده له أن يرسمه بالألوان ، و (بورغوتوليس) وحده له أن ينحت شكله بإزميل النحات ، ولو وجد أن أحداً غير هؤلاء الثلاثة ، وكل منهم متميز في فنه الخاص به ، مدّ يده لينسخ صورة الملك المقدسة لعوقب أشد العقاب كما لو أنه انتهك حرمة الأقداس ، وقد أدخل هذا الأمر الرعب في قلوب الناس كافة حتى كان

---

* الصحيح ان النحات كان (لوسيبّوس) Lucippus وليس (بوليكليتوس) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد وكان معاصراً لفيدياس .



(الاسكندر) وحده ، دون سائر البشر ، دائماً في مثاله ذاته . فأظهر كل تمثال أو رسم أو برونز مصبوب ملامح قوته العسكرية الحادة ذاتها ، وجمال شبابه الريان بعينه ، جبينه المليح نفسه بشعره المتماوج إلى الوراء .

فلو أمكن للفلسفة أن تصدر مثل هذا الأمر بمثل قوة نفاذه ، مانعةً كل غير ذي رخصة من أن يقلد صورتها ، لأصبحت دراسة الحكمة وتأملها في جميع مناحيها بأيدي القلة الطيبة القادرة ممن دربوا غاية التدريب ، ولما قلد الفلاسفة بعدها أولئك الجهلة من سفلة القوم القليلو العلم ، ممن لا يتجاوز تقليدهم جلباب الأستاذ * ، ولما شوهت ملكة العلوم جميعاً ، تلك التي لا تقل غايتها في الحديث سمواً عنها في الحياة ، بشرِّ الحديث وشر الحياة . ولتنتبهوا إلى أن الشر في الاثنين غير عسير ! وما ذاك الذي هو أسرع اكتساباً من حماقة الحديث وتفاهة الطبع ؟ الأول ينبع من احتقار الغير والثاني يصدر عن احتقار الذات . فإن تقلَّ رعاية المرء لخلقه فذاك

---

* مثل يضرب نشأ عن حكاية رجل كان ذا لحية عظيمة وعباءة ضخمة كان يحاول إقناع هيردوس اتيكوس بأنه فيلسوف ، فقال الأخير : « أرى الجلباب ولست أرى الفيلسوف ! » .

هو احتقار الذات . أما أن يهاجم غيره بقول خشن غليظ فتلك إهانة لمن يصغي إليه . أفليس ثمة السفه ، تأملوا ، أن يحسب امرىء ما أنك ستبتهج بسماع تشويه أفضل ما لدى البشر ، أو يظن أنك لا تدرك الكلمات الشريرة الخبيثة ، أو إنك إذا ما فهمتها سوف تعتبرها خيراً ؟ أي ريفي جلف ، وأي حمّال ، وأي خمّار يقصر لفظه عن السباب بفصاحة أكبر من فصاحة هؤلاء القوم ـ إذا ما رضي أن ينتحل جلباب الاستاذ ؟!

٨) مدح لحاكم عموم افريقية

إنه لأهل للمدح بفضل خلقه الشخصي أكثر مما هو أهل له بفضل مقامه ، رغم أنه لا يشاركه رفعة مقامه سوى القليل . فمن عدد لا يحصى من الرجال نجد القليل منهم أعضاء في مجلس الشيوخ ، وقليل من أعضاء مجلس الشيوخ نبلاء المولد ، وقليل من النبلاء بلغوا رتبة القنصل ، ومن القناصل ليس سوى القليل الصالح ، وقليل من الصالحين هم من أهل العلم . لكن لكي أحدد ما ينبغي علي قوله بالنسبة لمنصبه فإنه ليس من الزراية أن ينتحل أي من الناس شارات رتبته سواء فيما يتعلق بالثياب أو يتصل بالنعال !

٩) دفاع عن نفسه ضد منتقديه وتمجيد للحاكم العام (سفيريانوس)

لو اتفق أن أحداً ممن يحسدونني أو يكرهونني يجلس الآن في هذا المجمع الكريم ـ وذلك يرجع إلى أنه يوجد دائماً في أي مدينة كبرى قوم يفضلون مذمة من يفوقونهم على مجاراتهم ، ويتكلفون كراهيتهم عجزاً منهم عن أن يبلغوا شأوهم . يفعلون هذا بالطبع لانارة العتمة المحيطة باسمائهم بذاك السناء المشع من اسمي ـ أقول : لو أن أحداً من هؤلاء الكاشحين يلوث هذا المجلس الممتاز بلطخة وجوده فإني لأسأله أن يلقي ببصره لحظة على هذا الجمع الحاشد . وحين ينتهي من تأمل هذا الزحام الذي لم يجتمع أبداً من قبل لينصت لفيلسوف ، فليتدبر في نفسه مقدار الخطر على سمعته يأخذه على عاتقه رجل ليس من عادته الاستخفاف في الظهور هنا اليوم . فما أثقله من واجب وما أعسره من عمل أن أرضي حتى ذلك التطلع المعتدل لبعض من الحاضرين ! وإنه

ليصعب علي ، فوق كل شيء ، بسبب الشهرة التي نلت وتوقعكم اللطيف لبراعتي ؛ أن ألقي بأي حديث عابر لم أتدبره كل التدبر .

فأي امرىء من بينكم يغفر لي لحناً واحداً جو يصفح عن نطق مقطع واحد نطقاً غير فصيح ؟ من منكم يتجاوز عن تلعثمي بجمل مضطربة خاطئة مثل تلك التي تصدرها شفاه المخبولين ؟ إنكم ستغفرون لغيري بالطبع مثل هذه السقطات ، وأنتم على صواب في ما تفعلون ، بيد إنكم تخضعون كل كلمة أنطق أنا بها لأدق الفحوص ، تزنونها بعناية ، تمتحنونها بالفادن والمبرد ، وتختبرونها بصقل المخرطة وسناء حذاء المسرح المأساوي . هكذا هو الرفق المناسب للحالة الوسط . وهكذا هو التشدد الذي يقاسي به التميّز . إنني أدرك إذن صعوبة الواجب أمامي ، ولا أسألكم تبديل رأيكم الذي تضمرونه فيّ . ولذا فإنني لن أخدعكم بالصور اللطيفة الزائفة ، إذ إن ثمّ - كما ذكرت كثيراً - بعض المتسولين الجوالين ينتحلون جلباب الاستاذ ليكسبوا لقمة عيشهم .

ليس الحاكم العام وحده هو الذي يعتلي منصة المحكمة ،

بل إن منادي المدينة يفعل كذلك ويظهر مرتدياً العباءة مثل سيده. غير أن المنادي يقف على قدمين مصفوفتين طيلة ساعات ، أو يوسع الخطى جيئة وذهوباً ، أو يزعق بالخبر بكل ما أودع في رئتيه من قوة . أما الحاكم العام فهو على النقيض من ذلك ، يتكلم بهدوء ، متوقفاً بين الفينة والفينة ، يتحدث جالساً ويقرأ غالباً من وثيقة مكتوبة . وهذا أمر طبيعي ، إذ إن صوت المنادي الثرثار صوت خادم مستأجر ، أما الكلمات التي يقرأها الحاكم العام من وثيقة مكتوبة فهي حكم إذا قرىء مرة فقد لا يضاف إليه حرف واحد أو ينقص منه حرف ، بل لا يدون بمجرد القائه في سجلات الاقليم . وإن موقفي الأدبي يقدم مثلاً متواضعاً ، فكل ما أنطق به يؤخذ مباشرة ليدوّن ويقرأ . وما أنا بقادر على أن أسحب أو أغيّر منه شيئاً أو أن أجري به أدنى تصحيح . فعليّ إذن أن أكون على أشد الحذر في كل ما أقول أمامكم . ذلك أيضاً ينطبق على أكثر من شكل واحد من أشكال الانشاء . إذ إن ثمّة تنوعاً في تفكيري أكثر مما هو في جميع آثار (هبياس) المُحْكَمَة . فلو منحتموني أفضل انتباهكم لأبنت لكم ما أعنيه بتفصيل ودقة أكبر .

كان (هبياس) أحد السوفسطائيين ، بزّ رفاقه جميعاً في

تنوّع آثاره ، وهو خطيب لم يكن يفوقه أحد . وكان معاصراً لـ (سقراط) وأحد مواطني (ايلية) . أما عن أسرته فلا يعرف شيء . غير أن صيته كان ذائعاً ، وكان حظه وسطاً . وكان فضلاً عن ذلك ذا سرعة بديهة ممتازة وذاكرة خارقة للعادة . وقد تابع فروعاً عدة من الدراسة ، وكان له منافسون كثيرون .

جاء (هبياس) هذا الذي أتحدث عنه ذات مرة إلى (بيزا) في أثناء الألعاب الأولمبية وقد ارتدى ثياباً تدهش العين رائعة الصنعة . إذ هو لم يبتغ شيئاً مما كان يرتديه ، بل كان جميعه من صنع يديه . الثياب التي اكتسى بها ، والخفّان اللذان ينتعلهما والجواهر التي لفتت إليه الأنظار . على بدنه مباشرة لبس قميصاً داخلياً من قماش مثلث اللحمة من أرق النسيج ، مصبوغاً باللون الأرجواني الداكن ، نسجه لنفسه في بيته هو وبيديه هو . وتمنطق بحزام منقوش على الطراز البابلي بألوان كثيرة مختلفة . وما من أحد ساعده في هذا كله . أما رداؤه الخارجي فقد كان عباءة بيضاء انحدرت على كتفيه . والمعروف أن هذه العباءة كانت أيضاً من صنع يديه . لقد صاغ حتى نعليه اللذين غطيا قدميه ، والخاتم الذهبي بطابعه المحفور ببراعة ذاك الذي كان يعرضه في يده

اليسرى . هو نفسه الذي صنع حلقة الذهب وأقفل مكان الفصّ على الجوهرة ونقش الحجر الكريم . إنني لم أنبئكم بعد بقصة جميع منجزاته . بيد أني أحجم عن تعداد كل العجائب التي لم يحسب من العيب إظهارها . فقد اعلن أمام ذلك الحشد أن يديه صاغتا دواة الحبر التي كان يحملها . كانت دواة على شكل كرة مسطحة ، وكانت حواشيها مدورة ناعمة الملمس ، وإلى جانبها أبرز محكّة جلد بديعة ، كان مقبضها مستقيماً ولسانها منحنياً وقد حزّت فيه أخاديد مفرغة. لكي تجد اليد مقبضاً ثابتاً ويخرج العرق من مسارب سيالة بعيداً عن نصل المحكّة . فمنذا الذي يمسك عن مدح رجل كان له مثل هذه المعرفة المتنوعة بعدد كبير من الفنون . . . ذاك الذي كسب الفخار في كل فرع من فروع المعرفة ، والذي كان في الواقع مثل (دايدلوس) بمثل هذا الحذق ليصوغ هذه الأدوات المفيدة الكثيرة ؟

كلا ! إنني شخصيًّا أمجد (هبياس) لكنني أفضل تقليد عبقريته الخصبة في مجال العلم عن تقليده في مجال الأمتعة التي كانت عبقريته معدّة لها كل الاعداد . فليس لدي ـ وأعترف ـ سوى حذق لا يؤبه به في هذه الفنون القعودية . وحينما

أحتاج إلى ثياب أشتريها من النساج ، وعندما أبغي نعلاً كالذي ألبسه الآن أبتاعه من الاسكافي . وأنا لا أحمل خاتماً ، إذ أعتبر الذهب والأحجار الثمينة ضئيلة القيمة كأنها الحصا أو معدن الرصاص . أما محكّة الجلد والدواة وأدوات الحمام الأخرى فإنني أحصل عليها من السوق . ولن أمضي إلى حد إنكار أنني جاهل كل الجهل باستعمال المكوك والمخرز والمبرد والمخرطة وما أشبهها من الأدوات . لكنني أشهد أنني باطلاق أفضّل عن هذه الآلات جميعها قلماً واحداً بسيطاً يمكنني أن أكتب به قصائد من كل ضرب مما يوافق عود المنشد * ومساوقة القيثارة أو جلال مسرح اللهو أو مسرح المأساة . إنني أكتب مقالات ساحرة أيضاً وألغازاً وقصصاً على أنماط مختلفة كذلك ، وأحاديث قرظها الفصحاء ، ومحاورات أشاد بها الفلاسفة . كلا . . . بل أكتب هذه كلها وكثيراً غيرها بطلاقة متساوية في اللسانين اليوناني واللاتيني ، بمتعة متعادلة وبحرارة وتناسق متكافئين .

إنني أود ، أيها الحاكم العام العظيم ، لو استطعت

* كان من عادة المنشد أن يمسك قضيباً يضرب به الأرض في أثناء إنشاده مما يشبه عود « الطبيلة » عندنا .

تقديم أعمالي هذه كلها كاملة غير منقوصة وليس في قطع متناثرة أو مجرد اقتباسات أود أن أحظى بنعمة شهادتك الثمينة بفضائل ما أنتج فكري . وأنا لست في حاجة إلى ثناء . فقد ازدهر مجدي منذ زمن بعيد فتيًا سنيًا أمام أنظار سابقيك حتى لتشهده أنت اليوم . لكن ليس ثَمَّ إعجاب أناله من أحد يفوق إعجابك أنت ، لأنني أنا معجب بك أكثر من إعجابي بأي سواك ، بفضل مناقبك الفريدة . هذه سنة الطبيعة ؛ الثناء يتضمن الحب ، وحين نعطي حبنا لآخر فإننا نطلب في المقابل ثناءه . وإنني لأشهد بأنني أحبك ، وليس من رابطة نفع خاص تقيدني إليك ، فلقد نلت حبي على رؤوس الأشهاد . لم أحصل على هبة من يديك قط ، لأنني لم أطلبها أبداً . غير أن الفلسفة علمتني ألا أحبّ المحسنين إليّ فحسب بل حتى من قد يكون آذاني . علمتني أن أهتم بالعدالة أكثر من اهتمامي بمنافعي الشخصية ، وأن أفضل مناصرة صالح الجماعة عن خدمة مصلحتي . وهكذا يحدث أنه بينما يحبك أغلب الناس لاحسانك الذي تسبغه عليهم بجودك فإنني أحبك بنفس الغيرة التي انبثق منها ذلك الجود . وسرّ ولائي رؤيتي لرفقك في معالجة شؤون سكان هذا الاقليم ، رفقاً حاز محبة من اتصلوا بك بأفضالك التي

أنعمت بها عليهم ومحبة من لم تلقهم أبداً بفضل المثل الذي ضربته لهم . إذ في حين نال الكثيرون من نعمك فإن الجميع انتفع من مثلك . فمنذا الذي لا يتعلم بسرور منك ، وبأي أناة يمكن للمرء أن يتكسب جاذبيتك الأخاذة ، وشدتك التي تخفف من وطأتها الرحمة ، وعزيمتك الثابتة ، وحرارة خلقك الطيب ؟

إن (افريقية) لم ترَ حاكماً عامًّا ، بقدر ما أعلم ، وقَّرته وهابته أكثر منك . وسنة حكمك تقف منفردة وحدها ؛ ففيها كان الحياء كابح جماح الجريمة أكثر مما كانت الخشية . وإن أحداً غيرك ممن مكِّن له بمثل سلطانك لم يبارك أكثر مما خيف . وما من حاكم ربّى ابنه على نسق مناقب أبيه أكثر مما فعلت أنت . ولذا فما من حاكم عام مكث في (قرطاجنة) أكثر مما مكثت . ففي الفترة التي خصصتها لزيارة الاقليم لبث (هونورنيوس) معنا . وعلى الرغم من أننا لم نأسف لغيبة حاكمنا مثل أسفنا يومها فنحن لم نشعر بهذه الغيبة . لقد كان لدى الابن كل احساس الوالد بالعدالة ، وكان للشاب حكمة الشيخ كلها ، وكان للنائب كل سلطة القنصل . في كلمة واحدة : هو يمثل نموذجاً كاملاً وشبهاً تامًّا

بمناقبك حتى ليكونن المجد الذي يناله مثل هذا الفتى - وأقسم - مصدراً أكبر للعجب من مجدك أنت . . . فيما عدا حقيقة واحدة : إنه ورثه منك . فلنعش في بهجة وجوده الدائم ! ما حاجتنا إلى تبديل الحاكم ؟ ما النفع من هذه السنوات القصيرة . . . هذه الأشهر من الحكم التي مرت سراعاً ؟ آه ! ما أسرع ما تمضي الأيام حين يكون الخيّرون معنا ، وما أسرع ما تنقضي مدة الحكم لطيبة من يحكموننا ! آه . . . يا (سفيريانوس) ! إن الاقليم بأكمله ليئنّنّ لرحيلك . لكن (هونورينوس) استدعي على الأقل للمكارم التي هو جدير بها ؛ منصب القضاء ينتظره ، وفضل (القيصرين) يؤهله لمنصب القنصلية . إن حبنا ليحوطه اليوم ، وآمال (قرطاجنة) تعد بأنه في السنوات القادمة سوف يكون هنا مرة أخرى . إن قدوتك هي سلوانا الوحيدة . فذاك التي تولى النيابة سوف يعود إلينا حاكماً عامًّا !

١٠) عن « العناية » وعجائبها

« بدءاً . نحييك أيتها الشمس !
يا من يكشف مسارها الناري
وجيادها المطهمة المندفعة
السناءَ الوضاء
من اللهب المتقد ! » .

نحيي القمر أيضاً ، ذاك الذي يعرف من ضيائه كيف يشعّ بذاته وقوى الكواكب الخمسة كذلك ؛ (جوبتير) جالب البركات و (فينوس) جالبة اللذة و (ميركوري) مانح السرعة و (ساتورن) صانع الدمار و (مارس) بطبيعته النارية . وهناك قوى إلهية أخرى هي وسط بين السماء والأرض ، قوى نحسّ بها ولا نراها ـ مثل سلطان « الحب » وما شابهه ـ نشعر بقوتها ولم نرَ صورتها أبداً . وعلى الأرض

أيضاً هذه القوة التي أمرت ، طبقاً لمشيئة « العناية » الحكيمة ، قمم الجبال الشاهقة لترتفع هنا ، ومدّت سفوح السهل الواطئة المبسوطة هناك ، وعيّنت مجاري الأنهار ومروج الرياض المخضرّة ، ووهبت الطير القدرة على الطيران ، والأفاعي القدرة على الزحف ، والحيوانات القدرة على العَدْو ، والإنسان القدرة لكي يسعى على قدمين !

١١) مقارنة بين من يعـوزه المال ومـن تعـوزه الفضيلة

من كانت نفسه عارية من الفضيلة كان كأولئك المساكين الأشقياء الذين يفلحون إرثاً من حقول حجرية جرداء ليس بها غير أكوام من الحجارة والأشواك . وإذ هم لا ينالون غلةً من بريّتهم ولا يلقون ثمرة في تربة :

« يملأها الشوفان والزوان »

فحسب ، وإذ هم يعون فقرهم كل الوعي ، فهم يسرقون ثمار الآخرين وينهبون جنائنهم ، لعلهم بهذا يخلطون زهور جيرانهم بما لديهم من أشواك !

١٢) عن الببغاء

الببغاء طائر هندي حجمه أصغر قليلاً من حجم الحمامة . لكنه في لونه لا يشبه البتة لون الحمامة . فليس فيه شيء من ذلك البياض اللبني أو تلك الزرقة الداكنة ، ممتزجة كانت أو منفردة ، ولا تلك الصفرة الخفيفة ، أو ألوان قوس قزح الزاهية التي يتصف بها الحمام * . فالببغاء أخضر اللون من منبت ريشه حتى أطرافه فيما عدا علامات العنق ، فإن عنقه الدقيق يحوطه ويتوجه شريط رقيق من اللون القرمزي مثل طوق من الذهب مشع من بدايته إلى نهايته . وهو صلب المنقار بشكل خارق للعادة . فلو حلق على ارتفاع كبير وهوى بعدها على صخرة لكسر من حدّة سقوطه بمنقاره الذي

---

* هذا الوصف للبغاء قد ينطبق على الببغاء الأفريقي ، فهذا الطائر في مناطق أخرى مثل آسيا ، ثم استراليا وأمريكا في العصر الحديث ، معروف بزهو ألوانه وتنوعها .

يستعمله كمرساة السفينة . ولا يقلّ رأسه صلابةً عن منقاره . وعندما يُعَلَّم تقليد النطق البشري يُضْرَب على رأسه بقضيب من الحديد لكي يعرف أمر سيده . . . وهذه هي عصا تلمذته ! وهو يمكن أن يُعَلَّم الكلام منذ يوم ولادته حتى يبلغ السنة الثانية من عمره ، عندما يكون فمه أسهل تشكّلاً ولسانه رخواً بشكل كاف لتعلم الأنغام المطلوبة . أما ان اصطيد كبير السن فإن من الصعب تعليمه ، إذ سرعان ما ينسى ما تعلمه . وأسهل الببغاوات تعلياً لغة البشر هو ذاك الذي يقتات بثمار البلّوط وله ، كالإنسان ، خمس أصابع في كل قدم . وليس لجميع الببغاوات هذه الخاصية الأخيرة . غير أن هناك أمراً مشتركاً فيما بينها جميعاً ؛ فألسنتها كلها أعرض من ألسنة بقية الطيور . ولذا فهي تنطق بالكلام الانساني بسهولة أكبر بفضل حجم لهواتها وألسنتها .

وحين تتعلم الببغاوات شيئاً ما فهي تغنيه ، أو بالأحرى تنطق به ، بتقليد بالغ الكمال حتى أنك لو سمعتها لظننت أن إنساناً يتكلم . وعلى العكس من ذلك لو سمعت غراباً يحاول الكلام لظللت تدعو النتيجة « نعيباً » أكثر من تسميتها باسم « الكلام » . لكن الغراب والببغاء يتشابهان في عدم

النطق بألفاظ غير تلك التي عُلّمها . علّم الببغاء كيف يشتم وهو سوف يشتم على نحو متواصل ، جاعلاً الليل والنهار سلسلة متصلة من الرعب بشتائمه وسبابه . فالشتم يصبح لحنه الطبيعي وقدوته في الشدو والغناء ! وحينما ينهي ترديد لعناته يكرر اللحن من جديد . فإذا ما رغبت في التخلص من بذاءة لغته فإن عليك أن تقطع لسانه أو تعيده بأسرع ما يمكن إلى موطنه في الغابة التي جاء منها !

١٣) مقارنة بين فصاحة الفيلسوف وتغريد الطيور

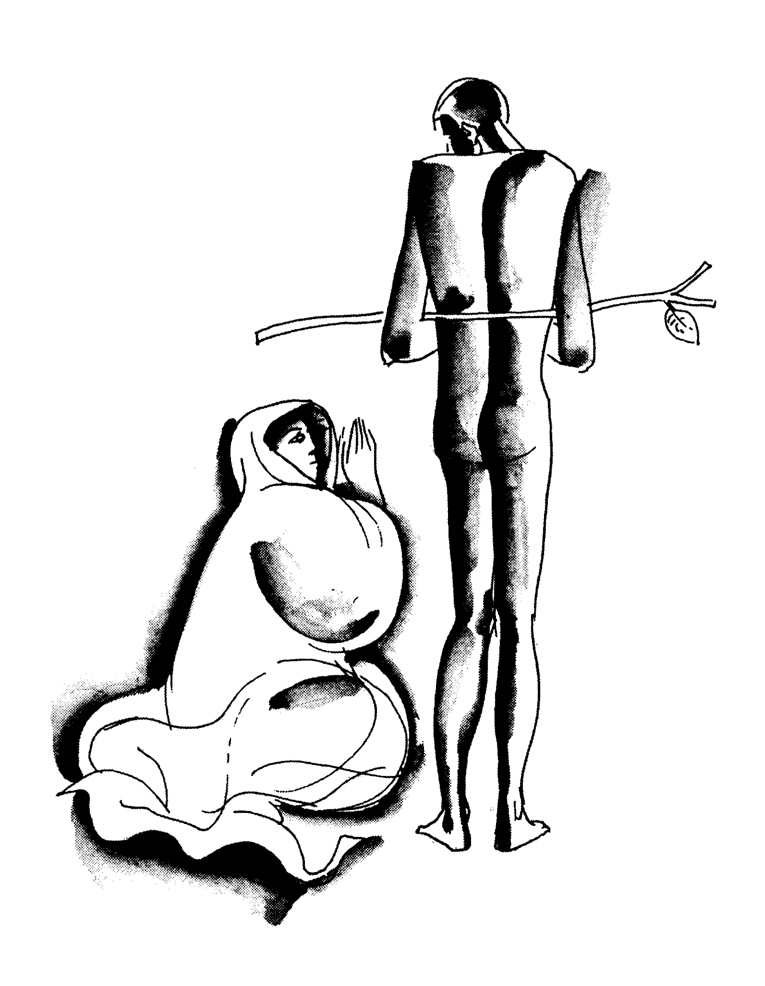
. . . ذلك لأن الفصاحة التي وُهِبْتُها عن طريق الفلسفة لا تشبه في شيء الغناء الذي منحته الطبيعة بعض الطيور ، تلك لا تغني إلا لوقت قصير وفي أوقات بعينها . فطيور السنونو مثلاً تغرد في الصباح ، وزيز الحصاد يغني عند الظهيرة ، وبومة الليل في الهزيع الأخير منه ، وأم قويق في المساء ، والبومة القرناء في منتصف الليل ، والديك قبيل الفجر . والحق أن هذه الحيوانات تبدو وكأنها اتخذت ميثاقاً فيما بينها تتقاسم فيه الأوقات والتغريد بألحانها . فصياح الديك صوت يوقظ الناس من فرشهم ، والبومة القرناء تنعق ، والبومة الصرّاخة تزعق ، وبومة الليل تصيح « تويت تو هو ! » ، وزيز الحصاد يزنّ ، والسنونو يزقزق ، لكن حكمة وفصاحة الفيلسوف مستعدة على الدوام ، توقظ الخشية في السامعين ، وتفيد الفهم ، وتعزف موسيقاه جميع الألحان !



١٤) عن (كراتس) الكلبي

. . . هذه الحجج وما شابهها التي سمعها من شفتي (اديوجين) وأخرى بدت له في مناسبات غيرها ، كان لها بالغ الأثر في (كراتيس) حتى اندفع في النهاية إلى السوق حيث أعلن تخلّيه عن كل ما يملك باعتباره مجرد حمل قذر وعبء لا نفع فيه . وقد اجتمع بفعله هذا حشد كبير صاح فيهم بصوت مسموع قائلا : « كراتيس . . . حتى كراتيس يطلق سراحك ! » .

وهو لم يعش بعدها في عزلة تامة فحسب ، بل عاش عارياً في حرية كاملة ، وكانت حياته سعيدة طيلة عمره . وكان التأثير الذي أحدثه كبيراً حتى أن فتاة بتولاً نبيلة المحتد كان يسعى لنوالها خطّاب أكثر منه شباباً وأوفر مالاً ، مضت في الواقع إلى حدّ رجائه أن يتزوج بها . وجواباً لها عرّى (كراتيس) كتفيه اللذين كانت تعلوهما حدبة ، ووضع جرابه وعصاه وعباءته على الأرض ، وقال للفتاة : « هذه



كل عدتي ! ويمكن لعينيك أن تحكما على جمالي .
تدبّري الأمر ملياً حتى لا ألقى منك فيما بعد شكوى
من نصيبك » . بيد أن (هيباركي) قبلت شروطه مجيبة
بأنها تدبرت الأمر وفكرت بما فيه الكفاية ، وأنها لن تجد في
الدنيا بأسرها زوجاً أغنى ولا أبهى منه . وصاحت :
« خذني إلى حيث تشاء ! » ----

١٥) عن جزيرة (ساموس) و (فيثاغوراس)

(ساموس) جزيرة ليست ذات حجم كبير في البحر (الأكاري) تقع مقابلة لـ (مليتوس) من ناحية الغرب ولا يفصل بينهما سوى مسافة ضيقة من البحر . وحيثما أبحرت من هذه الجزيرة ، دون أن تسرع ، ألفيت نفسك في مرفأ أمين في اليوم التالي . والتربة هنا لا تستجيب بسهولة لزراعة الحبوب وإنه لمضيعة للوقت أن تحرثها . غير أن الزيتون ينمو نمواً جيداً فيها ، ولا يخطىء الذين يزرعون الكروم والخضروات فيها . ومزارعوها مشغولون تماماً بعزق الأرض وغرس الأشجار ، فمنها ، وليس من الحبوب ، تستمد (ساموس) ثروتها . وعدد السكان كبير ، ويزور الجزيرة كثير من الغرباء . أما العاصمة فغير جديرة بصيتها ، لكن الآثار الوفيرة لأسوارها تشهد بحجمها السابق .

في هذه الجزيرة معبد (يونو) الشهير منذ الأعصر الغابرة . وعلى المرء لكي يصله ، إن لم تخني الذاكرة ، أن يتبع

الشاطئ لمسافة لا تزيد على عشرين فرسخاً من المدينة . وكنز الربة غني بشكل غير عادي ، يحتوي على كميات هائلة من الذهب وألواح الفضة على شكل أطباق ومرايا وأقداح وجميع أصناف الآنية . وهناك أيضاً كمية كبيرة من الصور النحاسية بمختلف الأنماط . وأذكر واحداً منها على وجه الخصوص ، أعني تمثال (باثوللوس) الواقف في مواجهة الهيكل ، وقد كان هدية من الطاغية (بوليكراتيس) . وفي ظني أنني لم أرَ شيئاً أكمل منه ، ويحسب البعض أن هذا التمثال هو تمثال (فيثاغوراس) لكن هذا الرأي غير صحيح .

يصور التمثال شاباً على قدر كبير من الجمال ، فرق شعره عند منتصف جبينه لينحدر على كلا خديه . وقد طال شعر رأسه حتى بلغ كتفيه مغطياً عنقه الذي يلاحظ المرء بياضه من بين ثنايا خصل الشعر . العنق مكتنز ، والفكان ممتلئان ، والوجنتان ناعمتان ، وغمازة في منتصف الذقن . وقد اتخذ وضع اللاعب على القيثارة ، وهو ينظر إلى الربة بهيئة المغني ، في حين ينحدر رداؤه المطرز حتى قدميه . وهو تمنطق على النسق اليوناني ، وعباءة تغطي ذراعيه حتى الرسغين ، وقد علقت بقية العباءة في طيات رائعة . قيثارته مربوطة بنجاد منقوش يمسك بها قريباً من جسده . يداه رقيقتان

مستدقتا الأطراف ، تلمس اليسرى منهما الأوتار بأنامل منفرجة واليمنى في وضع العزف تقترب من القيثارة بالمضراب كما لو أنها على أهبة العزف على الوتر بمجرد أن يتوقف الصوت لحظة عن الغناء . والاغنية نفسها تبدو كأنها تنساب من الفم الدقيق الذي انفرجت شفتاه بالتطريب .

وقد يصور هذا التمثال واحداً من معشوقي الطاغية (بوليكراتيس) الشبان وهو يشدو بحب سيده في لحن متناغم ، لكن من المستبعد أن يكون تمثال الفيلسوف (فيثاغوراس) ، صحيح أنه كان أحد مواطني (ساموس) معروفاً بجماله غير العادي وتفوقه على الجميع في العزف وكل ما يتعلق بالموسيقى ، وأنه عاش في الفترة التي كان (بوليكراتيس) حاكم (ساموس) أبانها . بيد أن الفيلسوف كان أبعد الناس عن أن يكون حبيب هذا الطاغية . والحق أن (فيثاغوراس) هرب من الجزيرة سرًّا منذ بداية حكم الطاغية . وكان آنذاك قريب العهد بفقد والده (منيسارخوس) الذي كان ، كما قرأت ، صانعاً ماهراً بارعاً في نقش الجواهر ، رغم أنه كان يبغي الصيت أكثر من طلب المال في مزاولته لهذا الفن . وهناك من يزعم أن

(فيثاغوراس) نقل يومذاك إلى مصر ضمن أسرى الملك (قمبيز) ودرس على أيدي سحرة فارس ، وبخاصة (زرادشت) كاهن جميع الأسرار المقدسة . ويزعمون أنه افتدى بعدها على يد (جيللوس) ملك (كروتون)أما الرواية الأكثرقبولاً على وجه العموم فتقول إنه مضى بمحض إرادته ليدرس حكمة المصريين حيث لقنه كهنتها ونسّبوه إلى أسرار محافلهم العظيمة متجاوزاً كل عقيدة . هناك تعلم الأرقام في جميع تكويناتها العجيبة وقوانين الهندسة الصادقة . ولم يكتف بهذه العلوم فقصد بعد ذلك الكلدانيين والبراهمة ، وهم طائفة من الحكماء يعيشون في الهند . ومن جملة البراهمة سعى إلى « الحكماء العراة » . وقد علمه الكلدانيون علم النجوم ومدارات سادة السماء الثابتة وأثر كل منها في مولد الإنسان . وهم علموه أيضاً فن التطبيب وكشفوا له عن أدوية أنفق الناس أموالهم في البحث عنها وجالوا البر والبحر طلباً لها . غير أنه أخذ عن البراهمة الجزء الأكبر من فلسفته وفنون تعليم العقل وتدريب الجسد ، ومذاهب تقسيم النفس وتحولاتها المختلفة ومعرفة العقاب والثواب المقضي به على كل إنسان طبقاً لما يستحق في عالم الأرباب السفلي . ثم اتخذ أستاذاً له (فيريسيدس) أحد مواطني جزيرة (سيروس)

وأول من جرؤ على أن يحطم أغلال الشعر ويكتب بأسلوب طليق نثراً غير مقيّد . وقد مات (فيريسيدس) بداءٍ فظيع ؛ إذ تعفن لحمه وتآكل بفعل القمل ، فدفنه (فيثاغـوراس) باحترام وعناية . ويقال أيضاً أنه درس قوانين الطبيعة على يد (أناكسيمندر الملطي) وانه اتبع (ابمنيدس الكريتي) وهـو متنبىء مشهور مهر أيضاً في فن الكفارة ، علـه يتعلـم منـه وكذلك من (ليودامــاس) تلميذ (كريوفيلــوس) ضيف الشاعر (هوميروس) الشهير ومنافسه .

أمـا وقـد درس على أيدي هذه المجموعـة الكبـرى من الحكماء وارتوى من مثل هذه المناهل العميقـة الفياضـة على سعة الأرض ، وهو الموهوب بعقل واسع تكاد تفوق عظمته فهـم الإنسـان ، فقـد كان مؤسس العلـم ومختـرع اسـم « الفلسفــة » . كان أول دروســه لاتباعــه هو « درس الصمت » . معه كان التأمـل ضرورة أسـاسية للحكمـة . فالتأمل يلجم عن الكلام كلـه ويزيل عن الـكلمات ، تلك التي يصفها الشعراء بأنها مجنحة ، ريشهـا ويحبسهـا داخـل سجن الأسنان الأبيض : « التأمل علمٌ والـكلام جهـلٌ » . ولم يكن أتباعه ، على كل حال ، يصومون عن الكلام طيلة حياتهم ، كما أن أستاذهم لم يفرض البكم على الجميع طيلة

ما عاشوا ، فإن فترة قصيرة من الصمت بالنسبة لأولئك الأصلب طبعاً نظامٌ كاف . أما الثرثارون فيعاقبون بالمنع عن الكلام مدة قد تصل إلى خمس من السنوات . وأضيف أن أستاذي (أفلاطون) يحيد قليلاً ، أو لا يحيد على الإطلاق ، عن مبادىء هذه المدرسة ، وهو في أغلب مقالاته تابع لـ (فيثاغوراس) . وقد أنال أنا أيضاً من أساتذتي الحق في أن أدعى أحد أتباعه ، فقد تعلمت هذا الدرس المضاعف في أثناء دراساتي الفلسفية ـ وهو أن أتكلم بجرأة عند الحاجة للكلام ، وأن ألوذ بالصمت سعيداً عند الحاجة للصمت . ونتيجة لهذا التحكم في الذات أحسب أنه يمكنني القول بأنني فزت من سابقيكم بتقدير صمتي في وقته المناسب بما لا يقل عن تقدير كلامي في أوانه المناسب أيضاً !

١٦) خطبـة شكر لـ (آيمليانــوس ستر ابــو) ومجلس شيوخ (قرطاجنة) لأمرهما بإقامة تمثال على شرفه

قبل أن أبدأ ، يا ممثلي (افريقية) السامين ، في شكركم على التمثال الذي شرفتموني بطلب إقامته وأنا معكم ، خاتمين لطفكم بتقرير تشييده في أثناء غيابي ، أود أولاً أن أبين لكم سبب غيبتي طيلة أيام عديدة عن الأنظار ، ولِمَ مضيت إلى الحمامات الفارسية حيث يجد المعافَى حماماً ممتعاً ويلقى العليلُ الشفاء . فلقد عزمت على أن أوضح لكم ، يا من نذرت نفسي لخدمتكم كل النذر ما حييت ، إن كل لحظة من حياتي تقضى على خير وجه . وما من عمل أقوم به ـ مهما كان تافهاً وغير ذي بال ـ إلا وأخبرتم به وحكمتم أنتم عليه .

حسن إذن ! لكي آتي إلى سبب رحيلي المفاجىء من محضر

هذا المجلس الفخيم فسأحدثكم بقصة شاعر الملهاة (فيلمون) التي لا تبعد في الشبه عن قصتي وسوف تفيد في أن توضح لكم كيف تأتي بغتة على غير انتظار تلك المخاطر التي تهدد حياة الانسان . إنكم جميعاً على دراية بمواهبه. فاصغوا إذن إلى بضع كلمات عن وفاته ، أو لعلكم تحبون بضع كلمات عن مواهبه أيضاً :

كان (فيلمون) هذا شاعراً وكاتباً من مرحلة الملهاة الوسيطة * ، وقد ألف مسرحيات نافس بها (ميناندر) وزاحمه . وهو إن لم يكن نداً له فإنه بالتأكيد كان مزاحمه ، كلا . . . بل هو في مناسبات غير قليلة ـ وأكاد أذكر هذا على استحياء ـ هزمه فعلاً ، ومهما يكن الأمر فإنكم واجدون أعماله ، لا ريب ، مليئة بالفكاهة ، مشحونة حبكتها بالعقد المتقنة ، واضحة خاتمة المسرحية ، وشخصياتها في مكانها المناسب لها . أما الكلمات فواقعية نابعة من صميم الحياة ، ولم تكن الدعابات فيها أبداً إلا جديرة بالملهاة ، ولا تبلغ المقاطع الجادة فيها حد المأساة . الغوايات في مسرحياته نادرة . وهو إن قدم قصة حب فليس ذاك إلا تسليماً منه

* كان (فيلمون) من شعراء الملهاة الجديدة ، وليس الوسيطة .

بالضعف البشري . وذلك لا يمنع ، على كل حال ، أن يوجد في مسرحياته الديوث غير المخلص ، والعاشق الولهان ، والعبد الماكر ، والمحظية الغنج ، والزوجة الغيور من كانت كلمتها هي القانون ، والأم اللينة ، والعم النكد ، والصديق المعوز ، والجندي المقاتل ، بل والطفيلي الشره ، والآباء البخلاء ، والعاهرات قليلات الحياء .

وقد حدث ذات يوم ، بعد أن جعله هذا التفوق ذائع الشهرة باعتباره كاتب ملهاة ، إنه كان يتلو جزءاً من مسرحية انتهى من كتابتها لتوّه . كان قد بلغ الفصل الثالث وبدأ يثير في مستمعيه تلك الانفعالات الحلوة العزيزة في فن الملهاة ، حين هطل فجأة وابل من المطر اضطره إلى تأجيل الجمع الذي احتشد لسماعه والقراءة التي بدأها منذ قليل . وتذكرون أن حادثة مشابهة مرت بي حين كنت أحدثكم منذ مدة قصيرة . وعلى كل حال فقد وعد (فيلمون) أن يكمل قراءته في اليوم التالي بناء على طلب عدد كبير من الحاضرين دون تأجيل آخر . وفي الغد حضر جمع غفير لسماعه بأكبر قدر من الحماسة . واتخذ كل من استطاع ان يفعل مقعداً يواجه خشبة المسرح أقرب ما يكون إليه ، وكان القادمون متأخرين

يومئون لصحابهم أن يفسحوا لهم مكاناً للجلوس . وطفق من جلس في آخر الصفوف يشكو من انه زحزح من مكانه إلى ممرات المسرح . كان المسرح بأكمله غاصًّا بالقوم حتى حافته ، وقد ارتفعت همهمات الحديث بينهم ، وشرع من كان غائباً بالأمس يتساءل عما قرىء ويستعيد من حضر ما سمع . وحينما صار الجميع أخيراً على علم بما سبق بدأوا في انتظار ما سيجدّ بعدها .

مضى جزء من النهار و (فيلمون) لم يأت في الموعد المضروب . وقد ألقى بعض الحاضرين اللوم على لشاعر بيد أن أكثرهم التمس له العذر . فلما طال جلوسهم مدة تجاوزت الحد المعقول من الوقت ولم يظهر (فيلمون) بَعْدُ أُرسِل بعض الحاضرين ممن هم أكثر نشاطاً لإحضاره . فألفوه ممدّداً في فراشه ـ ميتاً ! كان قد أطلق آخر أنفاسه وتمدد على سريره متصلباً جامداً . كانت أنامله لا تزال مطبقة على كتابه وفمه ملتصقاً بالصفحة التي كان يقرأها . نسي كتابه ، ولم يعد يبالي كثيراً بسامعيه .

وقف من دخل الغرفة منهم دون حراك برهة وقد صعقتهم فجائية الصدمة وجمال ميتته الرائعة . ثم قفلوا راجعين لينبئوا



القوم أن الشاعر (فيلمون) الذي كانـوا ينتظـرون منـه أن يكمـل المسرحية الخيالية أنهـى المسرحية الحقيقية ، مسرحية حياته ، في بيته . قال لهذه الـدنيا : « وداعـاً » وقـال : « هتافـاً ! »* أمـا لأصدقائـه فقـد قال : « نوحـوا وانتحبوا ! » وقال القوم : « لقد كان وابل الأمس فألاً لدموعنا . انتهت الملهاة بمشعل الجنازة وكان لها أن تختم بمشعل الزواج . كلا . . . فما دام هذا الشاعـر العظيم ألقى بقناع حياته جانبـاً فلنمض رأسـاً من المسرح لندفنه . لتكن عظامه هي التي نضمها اليوم إلى أفئدتنا ولتظل أشعاره جانباً إلى حين ! » .

لقد سمعت هذه القصة التي سردتها عليكم منـذ زمـن بعيد ، غير أن الخطر الذي تعرضت له خلال الأيام القليلة الماضية أعادها حية إلى ذاكرتي . فعندما قطع قراءتي المطر ، كما تذكرون ، أجلتها حسب رغبتكم إلى الغد ، وكان امري

---

* خاتمة مشهورة لكل مسرحية عند اليونان واللاتين :

iam mea peracta , mox

vestra agetur « VALETE ET PLAUDITE ! »

شبيهاً بما جرى لـ (فيلمون) . ففي اليوم نفسه التوى كعب قدمي بشدة في مدرسة المصارعة حتى كاد أن يتمزق المفصل من قدمي . غير انها عادت على كل حال إلى وقبها رغم أن قدمي لا تزال واهنة من أثر الالتواء . وشيء آخر أخبركم به ؛ فإن الجهد الذي بذلته للتقليل من الانزلاق كان كبيراً حتى تصبب جسدي عرقاً غزيراً وأصابني برد شديد الوطأة . وتبع هذا ألم فظيع في أمعائي لم تخف حدّته حتى كاد يودي بحياتي . فلو أنه استمر وهلة أخرى لمضيت مثل (فيلمون) إلى قبري وليس إلى قراءتي ، ولما كنت أنهيت حديثي بل مصيري ، ولختمت حياتي بدلاً من أن أختم روايتي .

حسن إذن . فبمجرد أن أعادت الحرارة اللطيفة ، وبخاصة منافع الحمامات الفارسية الطبية المسكّنة ، إليَّ القدرةَ على استعمال قدمي ـ ورغم أنها لا تكاد تحملني فقد كفتني في رغبتي الملحة للظهور أمامكم ـ انطلقت للوفاء بعهدي . وفي أثناء هذه الغيبة أسبغتم عليّ هذا الفضل الجميل ، فلم تكتفوا بإزالة عرجي بل صيرتموني رشيق الحركة خفيفها .

ألم أكن على صواب في أن أسرع كل الإسراع علّني أعبّر لكم عن امتناني غير المحدود للتكريم الذي اسبغتموه عليّ دون أن أسأله ؟

الحق أن (قرطاجنة) مدينة بلغت من الجلال حدًّا يشرفها معه أن يطلب فيلسوف منها جزاءً وتقديراً ، غير أنني ابتغيت أن يكون للفضل الذي أنعمتم به عليّ قيمته الكاملة دون عيب ، وأن لا ينقص جلاله بطلب مني . أعني في كلمة : أن يكون فضلاً خالصاً . ذلك لأن من يرجو يدفع الثمن غالياً . وما أبهظ الثمن الذي يناله من يوجّه إليه الرجاء ، حتى ليصبح شراء ضرورات الحياة خيراً من تقبُّلها هدية وعطاء ! وهذا المبدأ ينطبق فوق كل شيء على ما يتصل بمظاهر التكريم . فإن من تأتيه هذه المظاهر نتيجة سؤاله اللجوج غير مدين بامتنانه في نجاحه لأحد سوى نفسه . أما من ينالها دونما تصيّد يكدر الخاطر فهو مدين للواهب لسببين ، أنه لم يسألها ، وأنه رغم هذا نالها . فالشكر الذي أدين به لكم شكر مثنّى بل مضاعف ، وسيلهج به لساني كل آن وفي كل زمان . لكنني هذه المرة سوف أعلن بلاغ امتناني ـ كما هي عادتي ـ من خطاب مكتوب أنشأته خصيصاً لهذا التكريم الذي ميّزتموني به . فهذا بالتأكيد هو النهج الذي

ينبغي على الفيلسوف أن يردّ به المنّة لمدينة قررت أن تقيم له تمثالاً .

إن حديثي ـ على كل حال ـ سوف يحيد قليلاً عن هذا النهج علامة على خلق (آيمليانوس ترابو) الكريم ومنصبه الرفيع . وأرجو أن يكون في مكنتي إنشاء مقال ملائم إن أذنتم لي في تقديمه لينال قبولكم اليوم . إن (سترابو) لعالم متفرّد تؤهله مواهبه لشرف أكبر من رتبته السامية ومن التزامه بمنصب القنصل . فبأي كلمات يا (آيمليانوس سترابو) ـ أشهر الفضلاء وأفضل المشهورين ـ يمكنني الرجاء في إسداء الشكر ، أو إحياء الذكر ، لما أنعمت به عليّ من كريم الفكر ؟ كيف لي بالأمل في أن أحييّ بما يناسب المقام ذلك التكريم الذي ألهمك إياه فضلك ؟ أنّى لكلماتي أن تمدحك بما أنت أهل له للتشريف الذي أسبغته بعملك ؟ إن هذا ليفوق خيالي ، غير أني سأجاهد لأجد سبيلاً :

« ما دامت الروح تسير هذه الأطراف
والذاكرة تعي وجودها »

فإن سرور قلبي في هذه اللحظة ، ولا أنكر ، ليغطي

فصاحتي . أنا عاجز عن التفكير في معنى السرور ، إذ البهجة تغمر نفسي ، تأمرني بالانشراح أكثر من الكلام . ماذا عساي أن أفعل ؟ إنني لأود إظهار امتناني ، لكن فرحي عظم حتى لم يبق لي فرصة التعبير عن شكري . إن أحداً ، بلغ ما بلغ من غلظ الطبع وعبوسه ، لا يلومني إن جعلني التكريم الذي حظيت به شديد الانفعال أكثر مما جعلني مقدراً الفضل حق قدره . لن يلومني إن كانت الشهادة بجدارتي ، وقد نطق بها رجل له هذا الصيت وهذا العلم ، جعلتني ثملاً بنشوة الحبور . لقد أدلى بشهادتـه في مجلس شيوخ (قرطاجنة) وهو مجلس لا يعدل فضله شيء سوى امتيازه . وذاك الذي تحدث هو صاحب رتبة القنصلية ، رجل يشرف المرء أن يعرفه مجرد المعرفة . هذا هو الرجل الذي ظهر أمام أَسْمَى المواطنين في إقليم (أفريقية) ليشدو بالثناء عليّ !

لقد أنبئت أنه أرسل منذ يومين كتاباً طلب فيه تخصيص مكان بارز لتمثالي ، وأنه تحدث فوق هذا عن روابط الصداقة التي بدأت بيننا في ظروف كريمة حين خدمنا معاً تحت راية الأدب ، ودرسنا على يد الأساتذة أنفسهم . ثم سجل كل أمانيّ الطيبة بنجاحه الذي فرحت بكل خطوة من

خطوات إطراده في حياته الوظيفية . لقد حيّاني بتذكره أنني كنت يوماً رفيق دراسته . ويا لها من تحية رقيقة أن يسجل مثل هذا الرجل العظيم صداقتي كما لو كنـت نداً له ! ثم زاد فصرّح بأن أقواماً آخريـن، ومدناً أخرى ، لم يقرروا إقامة تماثيل لي فحسب بل ميزات غيرها تشريفاً لي . فهل يمكن إضافة شيء إلى مثل هذا التقريظ الذي نطقت به شفتا قنصل سابق ؟ نعم ! لقد ذكر منصب (الكهنوت) الذي أخذته على عاتقـي ، وبيـنّ أنني بلغـت أعلى المفاخـر في (قرطاجنة) . بيد أن أعظم مدح وأروعه وجّه لي كان أن أوصى بي لديكم هو نفسه ، بعد تقديمه هذا العدد الكبير من شهادات الثناء ، ورفع صوته بتزكيتي . وأعلن أخيراً ، هذا الرجل الذي يسعـد كل إقليم في الأرض قاطبـة أن يبنـي له أربعاً أو ستًّا من عربات الخيول ، أعلن أنه سيقيم تمثالي في (قرطاجنة) على نفقته الخاصة .

فما الذي يعوزكم لإقرار مجدي وتأسيسه ونصبه على أعلى ذرى الشهرة ؟ إنني أسألـكم : ما الـذي يعـوزكم ؟ ها هو (أيميليانوس سترابو) الذي شغل منصـب القنصـل وسـوف يصبح في القريب ، كما نأمل جميعاً وندعو ، حاكماً عاماً ، ها هو اقترح قرار تكريمي في مجلس شيوخ (قرطاجنة) . وقـد

وافقتم عليه بالاجماع . إن هذا بالقطع في أنظاركم أكثر من مجرد قرار . إنه مصادقة على قانون . بل أكثر من هذا أظهر كل أهـــل (قرطاجنــة) المحتشــدين في المجمــع الفخيم استعدادهم التام للتبرع بموقع للتمثال حتى يوضحـوا لكم أنهم إن أجّلوا قرار إقامة تمثال آخر ، كما أرجو ، حتى اجتماع مجلس الشيوخ القادم فإنما فعلوا ليبدوا احترامهـم الكامـل وتبجيلهم لنقصلهم الموقر ، ولتجنب الظهور بمظهر المقتدي بدلاً من تقليد إحسانه . أعني أنهم رغبوا في تخصيص يوم كامل من أجل الإنعام عليّ بالتشريف العام الـذي لا يزال في انتظــاري . وفضــلاً عن ذلك فقــد تذكر هؤلاء القضــاء السامـون ، أعيان مدينتـكم المبجلـون ، أن المهمـة التـي أوكلتموها إليهم يا أهل (قرطاجنة) متفقة مع رغباتهم تمام الاتفاق .

هل أتجاهل هذه التفاصيل أو أصمت عنها ؟

إن هذا ليعتبـر جحـوداً ، وإننـي لبعيد عن الجحــود . فلأقـدم أعمـق شكـري إلى مجمعهـم بأكملـه على فضلهــم السخي ، ولست بقادر على أن أكون أكثر امتناناً مما أنا عليه الآن ، فلقد شرفوني بأبهج هتاف في مجلس الشيوخ ذاك حيث

يعتبر مجرد ذكر اسم المرء أكبر تشريف له . وبذا نلت بمعنى من المعاني ، ومعذرة لزهوي، ما كان عسيراً مناله ، وبدا طبيعياً في الواقع ان يتجاوز قواي . لقد نلت محبة الناس وفضل مجلس الشيوخ ورضا القضاة وقادة المدينة . فما الذي يعوز الآن لكي أكرم بتمثال اللهم سوى ثمن البرونز وأجرة الفنان ؟ إن هذا لم يضنن به عليّ حتى في المدن الصغرى ، ولن تضنّ به (قرطاجنة) . (قرطاجنة) التي يقرر مجلس شيوخها ما قرر ، مع أن هناك قضايا أخرى تستوجب الاهتمام ، ولا يحسب حساباً للنفقات . لكنني سأتحدث عن هذا بتفصيل في وقت لاحق ، حين تنفذون ما قررتموه .

ويوم يحين موعد تدشين تمثالي سأعلن امتناني لكم بطريقة لائقة في مقال آخر مكتوب . سوف أعلنه لكم أيها الشيوخ النبلاء ، لكم أيها المواطنون المحترمون ، لكم أيها الأصدقاء الأعزاء . نعم ! سوف أودع امتناني صفحات كتاب مخلدة لكي تترحّل عبر كل بلاد ، في دنىً وعصور مقبلة ، مسجلة مدائحي لفضلكم ليقرأها الناس جميعاً على مدى الأزمان !

١٧) قطعة من ثناء على (سكيبيو أورفيتوس)

إنني أترك المجال لمن كانت عادتهم التطفل على لحظات فراغ الحاكم العام ، محاولين إظهار فطنتهم بكثرة كلامهم ، وتمجيد أنفسهم بالاصطلاء ببسمات مودتك وكلا هذين العيبين بعيد عني يا (سكيبيو أورفيتوس) . فإن فطنتي من ناحية معروفة للجميع حتى لا تحتاج إلى مديح . وأنا أفضل من ناحية أخرى أن أستمتع بصحبتك أنت ذاتك عن أن أباهي بها . إنني أحب هذه الصحبة لكنني لا أفاخر بها . فإن الحب لا يمكن أن يكون إلا حقيقيًّا ، أما التفاخر فقد يكون على الدوام زائفاً . كان هذا مقصدي وأنا أغرس آداب التعفف . كان مرادي هنا في (افريقية) وحيثما تنقلت بين أصدقائك في (روما) أن أحظى باسم نظيف سواء فيما يتعلق بخلقي أو يتصل بدراساتي ؛ كما يمكنك أنت أن تشهد صواباً . وكانت النتيجة انك لست أقل شوقاً لصحبتي من شوقي إلى مودتك . وإن عدم تسامحك في ندرة ظهور صديق لك هو علامة على رغبتك في حضوره الدائم . فإن فرحت

بتكرار زياراته أو غضبت من قطعها ، وإن تهللت لصحبته وأسفت لانقطاعها فهذا دليل قاطع على الحب . إذ الجليّ أن من يبعث غيابه الأليم كان وجوده باعثاً على الفرح . غير أن الصوت إذا حجب بصمت طويل كان لا نفع له كالمنخرين إذا سدّا ببرد يصيب الرأس ، والأذنين إذا أقفلتا بالصماخ ، والعينين إذا ختمتا بالغشاوة . ماذا تفعل اليدان إذا ما غلّتا أو القدمان إذا ما قيّدتا ؟ ماذا يفعل العقل الموجه لنا المتحكم فينا إذا ما تراخى بالنوم أو غرق في الخمر او انهرس تحت وطأة المرض ؟ كلا ! فمثلما يكسب السيف لمعانه بالاستعمال ويعلوه الصدأ بالاهمال فإن الصوت يبلد بالخدر الطويل إذا ماغيِّب في قراب الصمت . إن عدم الاستعمال ، لا مناص ، يولد الكسل ، والكسل يولد الفساد . فلو أن ممثل المأساة لا يقوم بدوره كل يوم لخفتت رنة صوته أو اخشوشن . فيلجأ إلى تكرار ما يقرأ بصوت عال ليغطي بحّته . غير أن من العبث الذي لا طائل من ورائه وجهد ضائع سدىً أن يحاول المرء تحسين كيفية صوت الإنسان الطبيعية ؛ إذ هناك أصوات كثيرة تفوقه . لعلعة البوق أعلى جرساً ، وموسيقى القيثارة أكثر تنوعاً ، ونحيب الناي أكثر متعةً ، وأنين المزمار أحلى نغماً ، ورسالة النفير أكثر سماعاً . وأنا أمسك عن ذكر

الأصوات الطبيعية لكثير من الحيوانات تثير الاعجاب بخواصها المتنوعة مثل خوار العجل العميق ، وعواء الذئب الحاد ، وتبويق الفيل الموحش ، وصهيل الجواد القوي ، وشدو العصفور النفاذ ، وزئير الأسد الغاضب ، مع صياح بقية الحيوانات ، ما كان منها خشناً غليظاً أو ناعماً لطيفاً تبعاً لما يستثيرها من جنون الهياج أو سحر اللذة . وقد منحت الآلهة الإنسان بدلاً من هذه الصيحات صوتاً أضيق مدى . فإن كان أقل متعة للاذن فإنه أنفع للفهم . وعليه فمن الواجب الألزم أن يهذب بالاستعمال المتصل ، وما من مكان آخر خير من هذا المحضر من السامعين يتصدرهم مثل هذا الرجل العظيم ، ووسط هذا الجمع الحاشد من العلماء المتازين الذين جاءوا متفضلين ليسمعوني . فلو أني كنت بارعاً في عزف موسيقى ساحرة على القيثارة لما عزفت أبداً إلا أمام الجموع الحاشدة ، إذ في الخلوة

« غنى اورفيوس للغابات
وغنى آريون للأسماك » .

فإن كنا نصدق الأسطورة فقد دفع (أورفيوس) وحيداً إلى المنفى وألقي بـ (آريون) من سفينته . أما أحدهما فقد

هدأ من ثائرة الضواري ، وأما الآخر فقد فتن الحيوانات الأليفة . غير أن هذين الموسيقيين كليهما كان غير سعيد ؛ إذ هما لم يبذلا الجهد الذي بذلاه طلباً لتكريم ينالانه ولا هما فعلاه بمحض إرادتهما الحرة ، بل كان من أجل سلامتهما وللضرورة القصوى . كنت سأعجب بهما إعجاباً أكبر لو أنهما أمتعا الإنسان لا الحيوان . إن مثل هذه الخلوة تلائم أكثر ما تلائم الأطيار ؛ الشحرور والعندليب والبجع . فالشحرور يغرد كصبي سعيد في برية نائية ، والعندليب يشدو بأغنية حبه النضرة في المواقع الخلية من (أفريقية) ، أما البجع فيصدح بموسيقى الأيام الخوالي على شواطىء الأنهار القصية . غير أن على من يردد غناء يفيد الصبيان والشبان وذوي اللحى التي غزاها الشيب أن يترنم به وسط آلاف الناس ، كما أشدو أنا الآن بمحاسن (أورفيتوس) . قد يكون شدوي متأخراً عن أوانه ، لكنني عنيته بكل الجد، ولعله لا يقل إمتاعاً عن فائدته للصبيان والشبان وشيوخ (قرطاجنة). فقد حظي الجميع بمودة خير الحكام قاطبة ، إذ هدأ رغباتهم وضبطها بكل بلسم لطيف . وهب الصبيان نعمة الوفرة ، ومنح الشبان المرح ، وضمن للشيوخ الطمأنينة والأمان .

والآن يا (سكيبيو) ـ وقد بلغت موطن الحديث عن مناقبك ـ فإني لأخشى أن يغلق تواضعك الكريم فمي أو يقفله حيائي . بيد أنه لا يمكنني الامتناع عن ذكر بعض البعض من مناقبك التي نكبرها فيك بحق .

أيها المواطنون الذين أنقذهم . . . أوضحوا معي معرفتكم بهذه المناقب !

١٨) حديث ألقي أمام (القرطاجنيين) يتعرض صدفة لـ (طاليس) و (بروتاغوراس)

لقد جئتم في هذا العدد الكبير لسماعي ، حتى لأشعر بوجوب تهنئة (قرطاجنة) على هذه الكثرة من محبي العلم بين مواطنيها أكثر من طلب التجاوز عني أنا الفيلسوف المشهود له المغامر بالكلام علانية . فالحشد الذي تجمع جدير بعظمة مدينتنا ، والمكان الذي اختير لالقاء حديثي أهلٌ لهذا الجمع العظيم . نحن في المسرح يجب ألا نهتم برخام أرضيته ، ولا بألواح خشبته ، ولا بأعمدته الخلفية . كلا . . . بل ولا حتى بارتفاع أسقفه ، ولا بفخامة ظلله المنقوشة ، ولا باتساع درجات مقاعده . لسنا بحاجة إلى التذكير بأن هذا المكان هو أحياناً مشهد تهريج ممثلي التقليد ، وحوار الملهاة ، وهراء المأساة الجهوري ، وألعاب المشي على الحبل الخطرة ، وخدع يدي المشعوذ ، وإيماءة الراقص ، وكل ألاعيب الفنانين الآخرين وغيرهم المعروضة فنونهم على الناس . وقد توضع هذه الاعتبارات كلها جانباً ، ونجد أن كل ما نحتاج إلى

الاهتمام به هو حديث الخطيب وسبب حضور السامعين . وعليه ـ فتماماً كما ينقل الشعراء في هذا المكان المشهد إلى مدن أخرى مختلفة ـ خذ مثلاً شاعر المأساة الذي يجعل ممثله يقول :

« ليبر . . . ذاك الذي يتخذ له سكناً
في المرتفعات العظمى
من كيثايرون الشهيرة ! »

أو شاعر الملهاة الذي يقول :

« لا يسألكم بلاوتوس سوى مكان صغير
داخل الدائرة الواسعة لهذه الأسوار العظيمة
حيث قد ينقل أثينا القديمة
دون عون من المهندس المعماري ! »

فإنني أستميحكم الإذن في نقل مشهدي ، لا إلى مدينة أخرى بعيدة فيما وراء البحار ، بل إلى مجلس الشيوخ أو المكتبة العامة في (قرطاجنة) أسألكم الإذن ، إذا كان أي من أحاديثي جديراً بمجلس الشيوخ ، أن تتخيلوا أنكم تصغون إليّ داخل جدران مجلس الشيوخ ذاته . وإذا كانت كلماتي

تكشف عن علم فأرجو أن تنظروا إليها وكأنكم تقرأونها في المكتبة العامة . لكم أود أن أجد كلمات كافية لإنصاف عظمة هذا المجلس وألا أتلجلج حيث أبغي أن أكون أفصح الفصحاء . وهنا يصح القول القديم : إن السماء لا تبارك أبداً امرءاً ذا يسر غير مشوب بما يعكر صفوه . ففي أحلى المتع هناك شيء من الأسى الخفيف الخفي ، شيء مزعج من المرّ والشهد ، إذ لا ورد بدون أشواك ، ولقد خبرت حقيقة هذا الأمر كثيراً ، وخبرتي السابقة له لا تزيد عنها في هذه الآونة . فكلما أدركت مدى استعدادكم للثناء عليّ تعاظمت هيبتكم في نفسي وتزايد احجامي عن الكلام .

لطالما تحدثت إلى مستمعين غرباء عني من قبل وبأطلق لسان . أما الآن فإنني لأتردد كل التردد وأنا أواجه بني قومي . ومن الغريب القول بتخوفي مما يغريني بالكلام وإنني ملجم بما يجب أن يدفعني للحديث ومكبوح بما يجب أن يبعث في قلبي الجسارة ، وثَمَّ الكثير مما يشجعني وأنتم حاضرون . فقد اتخذت من مدينتكم منزلاً وهي التي عرفتها جيد المعرفة في أيام صباي وامضيت بها اعوام تحصيلي . وأنتم تعرفون آرائي الفلسفية ، وليس صوتي بغريب عنكم ، وقد قرأتم كتبي واستحسنتموها . مسقط رأسي مسجل في مجلس

(افـريقية) . . . أي في مجلسـكم هذا . صبـاي قضيتـه معكم ، وكنتم أنتم أساتذتي . هنا وجدت فلسفتي إلهامها الأول ، رغم أن أثينـا اليونـانية هي التـي ابلغتهـا مرحلـة النضج ، وفي خلال السنين الماضية كان صوتي ، في اللغتين كلتيهما ، مألوفاً لأسماعكم . كلا . . . بل إن كتبي لم تحظ بتقريظ الآفاق أكثر من حقيقة كونكم أسبغتـم عليهـا حكماً لصالحها . هذه الاغـراءات الكبـرى المتنوعـة ، رغـم إنهـا تشدني كما تشدكم ، تحيرني وتفزعني مثلما تجذبكم للـذة سماعكم إياي . وإنه لأسهـل كثـيراً بالنسبـة لي أن أشـدو بمديحكم أمام أناس من مدن أخرى من شدوي به أمامكم . إلى هذا الحد كان الحياء حقيقة عائقاً خطيراً لمن يواجه بأبناء وطنه ، بينما قد يجهر بالحقيقة دون قيد أمام الأغراب . وانني لأسبِّح بحمدكم دائماً في كل آن ومـكان باعتبـاركم آبائـي ومعلمّي شبابي وأبذل كل ما في وسعي لرد الجميل . بيد أن ما أقدمـه لكم من جزاء ليس هو ذاك الـذي اشتـرط (بروتاغوراس) نواله ولم يحصل عليه قط ، بل هو ذاك الذي ناله (طاليس) الحكيم دون أن يشترطه أبداً .

ماذا تبغون ؟

آه . . . فهمت ! سأروي لكم القصتين كلتيهما :

كان (بروتاغوراس) سوفسطائيًّا عالماً بعدد لا يحصى من الموضوعات . وكان واحداً من أفصح محدثي فن البلاغـة . كان مواطناً ومعاصراً لـ (ديموقريطس) عالم الطبيعة ، وهو أخذ علمه عن (ديموقـريطس) هذا . وتقـول القصـة ان (بروتاغـوراس) عقـد اتفاقـاً على عجـل مع تلميذه (ياثوللوس) مشترطاً أجراً عالياً جدًّا على أن يدفع المال إن نجح (ياثوللوس) في أول قضية له يرفعها أمام المحكمة . ومن ثم تعلم الشاب كل الطرق المؤدية إلى الفوز بأصوات القضاة ، وجميع حيل المحامين ، وكل خدع الخطابة ، وهو تعلم هذا كله بسهولة ، فقد كان شابًّا نابهاً ذا استعداد طبيعي لتعلم الخدع . فلما أحس بأنه حصل كل ما رغب في معرفته شرع في إبداء تهاونه في الوفاء بالتزامـه في العقـد . أعيا في البداية طلبات معلمه الدفـع بأن ركن إلى أعـذار واهية ، ورفض فترة طويلة من الزمن أن يتقدم إلى المحكمة بقضية أو يدفع الأجر المشروط . وفي النهاية استدعاه (بروتاغوراس) إلى المحكمة وعرض عليها الشروط التي قبلـه على أساسهـا تلميذاً له . ثم طرح البرهان المنطقي التـالي . . . فقـال :

« إن كسبت أنا القضية فإن عليك دفع الأجر بحكم قرار المحكمة . إما إن كسبتها أنت فإن عليك أن تدفع أيضاً بحكم نص العقد لفوزك في أول قضية تعرضها على المحكمة . وهكذا إذا ربحت أنت فقد خسرت بحكم نص العقد • أما ان هزمتَ فإنك خاسر بأمر المحكمة ! » .

ماذا تطلبون أكثر من هذا ؟

لقد ظن القضاة أن هذه الحجة أعجوبة من أعاجيب الدهاء لا يمكن دحضها . غير أن (ياثللوس) برهن على أنه تلميذ نجيب لهذا الأستاذ الداهية ، ثم عكس الحجة على محدثها . . . فقال : « في هذه الحالة لستُ مديناً لك بأجر في كلا الأمرين . إذ أما أن أكسب أنا القضية وهنا أكون برئت بأمر المحكمة ، أو أخسرها فأكون معفىً من الاتفاق الذي يقرر أنني غير مدين لك بشيء إذا خسرت قضيتي الأولى أمام المحكمة . . . وهذه هي قضيتي الأولى ! وعليه أخرج في الحالين آمناً مطمئناً . إن خسرتُ نجوتُ بحكم العقد ، وإن

ربحتُ فبحكم المحكمة ! » .

ما رأيكم ؟

ألا يذكركم تقابل هذه الحجج السوفسطائية بشجرة العوسج التي تشتبك فروعها بفعل الريح ؟ يعلق أحدها بالآخر فينغرز شوك كل منها في صاحبه على من الجانبين ، فيبادله جرحاً بجرح . فلنترك جزاء (بروتاغوراس) للماكرين الشجعين ، فإن فيه مصاعب جمة ذات شوك حاد ، وأفضل منه كثيراً ذلك الجزاء الذي يقولون إن (طاليس) ارتآه .

كان (طاليس الملطي) أشهر الحكماء السبعة الذائعي الصيت . إذ كان أول يوناني استنبط علم الهندسة ، وكان أدق باحث في قوانين الطبيعة وأحذق راصد للنجوم . فبعون من بضعة خطوط اكتشف أخطر الحقائق شأناً : دورة السنين ، وهبوب الريح ، وحركات الكواكب ، وآية الرعد المدوية ، ومسار البروج المائل ، ومدار الشمس السنوي ، ونمو القمر في بدايته ، ومحاقه في آخرته ، وظل خسوفه . هذه كلها اكتشف قوانينها . وحتى عندما تقدمت به السنون طوّر

نظرية ، بإلهام سماوي ، عن مدة دوران الشمس في دائرة تتحرك خلالها بكل جلالها . ويمكنني القول بأنني لم أدرس هذه النظرية في الكتب فحسب بل برهنت على حقيقتها بالتجربة .

ويقال ان (طاليس) علم هذه النظرية بمجرد اكتشافها (ماندراتيوس البريني) . وقد رجا الأخير (طاليس) ـ وقد فتن لغرابة وجدة معرفته التي اكتسبها حديثاً ـ أن يختار ما يشاء مكافأة له على هذه المعرفة الثمينة . فأجاب (طاليس) الحكيم : « يكفيني مكافأة أن تمتنع عن نسبة النظرية التي علمتك إياها إلى نفسك كلما شرعت في أن تعلمها غيرك ، وأن تعلن أنني أنا ، ولا أحد سواي ، مكتشف هذا القانون الجديد » . والحق أن هذا الجزاء كان جزاءً كريماً جديراً بمثل هذا الرجل العظيم لا تطوله يد الزمان . فقد ظل هذا الجزاء يؤدي لـ (طاليس) حتى يومنا هذا ، وسنظل نؤديه له ، نحن الذين تحققنا من صدق اكتشافاته في ما يتصل بالسماوات ، إلى أبد الآبدين !

هذا هو الجزاء الذي أؤديه لكم يا مواطني (قرطاجنة) في أرجاء المعمورة ، لما منحتني إياه (قرطاجنة) من علم أيام

صباي . فحيثما ذهبت أفاخر بأنني رضيع مدينتكم ، وأشدو بمدائحكم في كل مكان ، وأباهي بعلمكم ، وأمجّد غناكم ، وأسبح بحمد آلهتكم العزيزة . وعليه فهأنذا الآن أبدأ بالحديث عن الإله (آيسكولابيوس) . فبأي حديث موفق أشنف آذانكم ؟

إن هذا الإله ليعز قلعة مدينتنا (قرطاجنة) بحماية وجوده الذي لا ريب فيه . فانظروا ! سوف أشدو لكم باليونانية واللاتينية ترنيمة أنشأتها لمجده وأوقفتها منذ زمن طويل عليه . وإذ إنني معروف للغاية بمواظبتي على أداء شعائره فان عبادتي إياه ليست بالشيء الجديد ، وقد نالت كهانتي له بسمة رضاه ، كما أنني عبرت عن توقيري له نثراً وشعراً . بل سأسرد الآن ترنيمة لمجده باليونانية واللاتينية استهللتها بحوار بكلتا اللغتين يتبادل فيه (سبيديوس سيفروس) و (يوليوس بيرسيوس) الحديث معاً . وهما رجلان يرتبط أحدهما بالآخر عن جدارة ، كما يرتبطان بكم وبالخير العام بأوثق روابط المحبة . كلاهما متميز في علمه وفصاحته وفضله . وإنه لمن العسير القول ما إذا كانا متفوقين بلطفهما العظيم أو بحيويتهما الدافقة أو بتميز مجرى حياتهما . فهما متحدان أحدهما بالآخر بأكمل توافق ، وليس ثمّ سوى أمر

واحد يتنافسان فيه ، هو بالتحـديد : نزاعهما في من منهما
يكنّ حباً أكبر من صاحبـه لـ (قرطاجنـة) . إنهما في هذا
يتسابقان بكل قوتهما ومن أعماق قلبيهما ، ولم يفز أي منهما
في هذا السباق . أما وفي ظني أنكم ستسعدون كل السعادة
بحديثهما وأن هذا النهج يوائم مقدرتي كما إنه تقدمة مقبولة
للإله ، فإنني أبدأ في مستهل كتابي بأن أجعل أحد رفـاق
الدراسـة في (أثينـا) يطلـب من (بــيرسيوس) أن يقــرأ
باليونـانية موضـوع الخطـاب الـذي ألقيتـه أمس في معبــد
(آيســكولابيوس) . وعندمـا يقطـع الحـوار شوطـاً أقــدم
(سفيروس) ليصاحبهما . إن دوره مكتوب بلغة (روما) ،
أما (بيرسيوس) فرغم مقدرته في اللاتينية فسـوف يتحـدث
إليكم اليوم باللغة اليونانية الفصحى .

١٩) قصة الطبيب (اسكليبياديس)

كان (اسكليبياديس) الشهير الذي يعتبر حقاً من أعظم النطاسين ، إذا ما استثنيتم (أبو قراط) باعتباره أعظمهم جميعاً ، كان اكتشف فائدة النبيذ في العلاج الذي ينبغي ، على كل حال ، أن يقدم في اللحظة المناسبة . وهو أظهر حذقاً في معرفة هذه اللحظة المناسبة بملاحظة أبسط ظواهر اختلال النبض أو زيادته عن الحد .

وقد اتفق ذات مرة إن كان آيباً إلى المدينة من بيته الريفي فرأى جنازة كبيرة في ضاحية المدينة ، وقد وقف جمع غفير من الناس ، قدموا لأداء آخر تحيات الوداع ، حول النعش مستغرقين جميعاً في حزن عميق لابسين ثياباً رثة مهلهلة . سألهم من ذاك الذي يدفنونه فلم يجبه منهم أحد . فاقترب من النعش ليرضي فضوله وليرى من كان الميت ، أو لعله كان يرجو اكتشافاً يفيد به صناعته . ومهما يكن الأمر فقد انتشل الرجل من بين فكي الموت وقد كان ممدداً على حافة الدفن .



كانت أطراف الرجل المسكين مغطاة بالحنوط وفمه محشواً بالطيب الفوّاح ، كان قد مسح بالزيت وجاهزاً للدفع به إلى المحرقة . غير أن (اسكليبياديس) تمعن فيه ملياً وتفحص بعض علامات فيه وقلب جسده مرات ، فأدرك أن الحياة لم تفارقه بعد رغم أنها لا تكاد تعرف . فصاح لتوه « إنه حي ! فألقوا بمشاعلكم ، وابعدوا ناركم ، وأزيلوا المحرقة ، وأعيدوا طعام الجنازة وفرقوها على آل بيته ! » .

ارتفعت همهمة وهو يتحدث . قال البعض بوجوب اتباع كلمة الطبيب ، في حين سخر آخرون من النطاسي . وأخيراً - ورغم معارضة بعض أقارب الرجل ، ربما لأنهم استحوذوا على مال الميت أو لأنهم لم يصدقوا كلمات الطبيب بعد ، اقنعهم (اسكليبياديس) بأن يؤجلوا الدفن لفترة قصيرة من الزمان ، منقذاً الرجل من بين يدي الحنوطي ، حمله إلى بيته كما يحمله من فم الجحيم ، وأحيا في التو روحه . وبمساعدة بعض العقاقير أعاد إليه تلك الحياة المختفية في أماكن مجهولة من البدن !

٢٠) فخر بمواهبه

هناك قول معروف لرجل حكيم عن أطايب المائدة يقول : « القدح الأول يطفيء الظمأ ، والثاني يدخل الحبور ، والثالث يشعل الغربة ، والرابع يبعث على الجنون ! » أما في حالة النهل من ينبوع (عرائس الفن) فإن العكس صحيح . إذ كلما زاد عدد الأقداح التي تشربها ، وكان الشراب صرفاً ، كان أفضل لخير نفسك . القدح الأول يعطيك إياه أستاذك الذي يعلمك القراءة والكتابة ويخلصك من الجهل، والقدم الثاني يقدمه إليك معلم الأدب ويمدّك بالمعرفة ، والثالث يسلّحك بفصاحة الخطباء . ومن هذه الأقداح الثلاثة يشرب معظم الناس . أما أنا فقد سقيت أقداحاً أخرى في (أثينا) - شراب الشعر الخيالي ، وجرعة الهندسة الصافية ، وشراب الموسيقى الحلو ، وشراب الجدل الصارم . ثم رحيق الفلسفة - كلها مما لم يرتو منه إنسان من قبل .

لقد كتب (امبيذوقليس) الشعر ، وأنشأ (أفلاطون) المحاورات ، وأنشد (سقراط) التراتيل ، وألف (ابيمارخوس) الموسيقي ، وصنف(اكسينوفون) التواريخ ، وسطر (اكسينوقراطيس) مقالات الهجاء . أما صاحبكم (أبوليوس) فإنه يرعى فروع هذه الفنون جميعها ، ويعبد (العرائس) التسع كلها بنفس الغيرة . واعترف بأن حماسته لتفوق مقدرته بكثير ، لكن لعل هذا ما يجعله جديراً بالحمد ، إذ يكون الجهد المبذول في كل المطامح الرفيعة الشأن هو القمين بالثناء ، أما النجاح فأمره على كل حال يعود إلى الصدفة وحدها . ولكي أوضح لكم هذا القول أذكركم بأن القانون يعاقب حتى مجرد تعمد الجريمة رغم أن غاية المجرم قد لا يكتب لها التحقيق . فقد تكون اليد طاهرة لكنَّ هناك دماً على الروح . . . وهذا يكفي . ومثلما يكفي لإنزال حكم القانون وجود نية الفعل لانزال العقاب يكفي لنيل الحمد محاولة فعل ما يستحق ذيوع الصيت . وأي شيء أدْعى للثناء أو آكد لادعائه يمكن أن يناله المرء أعظم من تمجيد (قرطاجنة) ؟

أنتم ـ مواطنوها ـ أدرى الناس بمعرفة الإنسان . اولادكم

يتعلمون ، وشبابكم ينشرون العلم ، وشيوخكم يعلمون كل أنماط المعرفة . إن (قرطاجنة) هي معلمة إقليمنا المبجلة . (قرطاجنة) هي « عروس فن افريقية » السماوية . (قرطاجنة) هي النبع الذي ينهل العالم الروماني كله من إلهامه !

٢١) اعتذار عن تأخير سببه واجبات اجتماعية

عندما تكون العجلة أحياناً لازمةً لنا فقد يؤدي العائق المخفف من هذه العجلة الى شرف كبير لنا حتى لنسعد بأننا عطلنا عن غايتنا . خذ مثلاً حالة أولئك المضطرين إلى السفر بسرعة فائقة ، حتى ليفضلون مخاطر السرج عن الجلوس في عربة لما يسببه لهم متاعهم من عناء ولثقل العربة والتأخير في المسير ووعورة الطريق ، إلى جانب الصخور التي تكتنف السبيل وجذوع الأشجار المتساقطة عبرها ، والأنهار التي تعترض السهل ، ومنزلقات الجبال المنحدرة . فعلى من يبغون اجتناب هذه المعوقات كلها أن يتخيروا جواداً جربت مقدرته على التحمل كما اختبر نشاطه وعرفت سرعته ، أعني جواداً قوياً حمله سريعاً عدوه كذلك الجواد الذي وصفه (لوكيليوس) بأنه :

« يجتاز بخطوة واحدة السهل والجبل »

فلو حملهم مثل هذا الجواد على أجنحة سرعته واتفق أن



رأوا رجلاً عظيم الشأن ، كريم الأرومة ، زائد الحكمة ، ذائع الصيت ، لخففوا من سرعتهم مهما بلغت عجلة أمرهم ، ليظهروا له التوقير ، ولأبطأوا من خطى جيادهم وكبحوا جماحها . ولترجلوا في التو واللحظة ونقلوا سوط حث الجياد إلى يسراهم ، ولاقتربوا من الرجل العظيم وحيوه بأيديهم اليمنى الطليقة . فإن خطر له أن يسألهم بضعة أسئلة للحظة من زمان لساروا معه برهة وتحدثوا إليه . إنهم في الحق ليواجهون بسرور بالغ أي قدر من التأخير في سبيل القيام بالواجب الذي يدينون به نحوه !

٢٢) عن مناقب (كراتيس)

كان (كراتيس) ـ تلميذ (اديوجين) المعروف ـ مبجَّلاً في (أثينا) من قبل أهل عصره كما لو كان إلهاً من آلهة البيوت . لم يكن ثمة بيت مسدود الباب في وجهه ولا ربّ أسرة أخفى سرًّا عن (كراتيس) او اعتبره متطفلاً بحال من الأحـوال . كان دائماً مرحَّباً به . ولم يكن خصام أو تقاض بين الأقارب إلاّ وقبل حَـكَـماً وكانت كلمته قانوناً .

يقول الشعراء إن (هرقل) في العصور الغابرة أخضـع ببأسه كل ضواري الأساطير ، حيواناً وإنساناً ، وطهر العالم منهـا . كذلك كان فيلسوفنـا (هرقـلاً) بذاتـه في إخضـاع الغضب والحسد والهوى والشهوة وكل تلك الأرجاس الشرسة المحيطة بروح الانسـان . لقـد طرد هذه الآفـات كلهـا من أذهان الناس وَطَهَّر كل أهل بيت وروّض الرذيلة ترويضاً . كلا . . . بل إنه كان يسعى نصف عريان تميزه درّته التي كان يحملها . بل إنه خرج من (طيبة) ذاتها التي يقول الناس إن

(هرقل) ولد فيها . وحتى قبل أن يصبح (كراتيس) الطهور البسيط كان معدوداً من أعيان (طيبة) . كانت أسرته كريمة ، وعماراته كثيرة ، وسقيفة بيته مليحة فسيحة . كانت أراضيه غنية وثيابه فاخرة . فلما أدرك أخيراً إن الثروة التي انتقلت إليه لم تكن تحمل معها وقاية يمكنه أن يستند إليها كما يستند إلى العصا في سبل الحياة ، وإن كل شيء هش مؤقت ، وإن مال الدنيا بأسرها لا يعين على حياة فاضلة . . . *

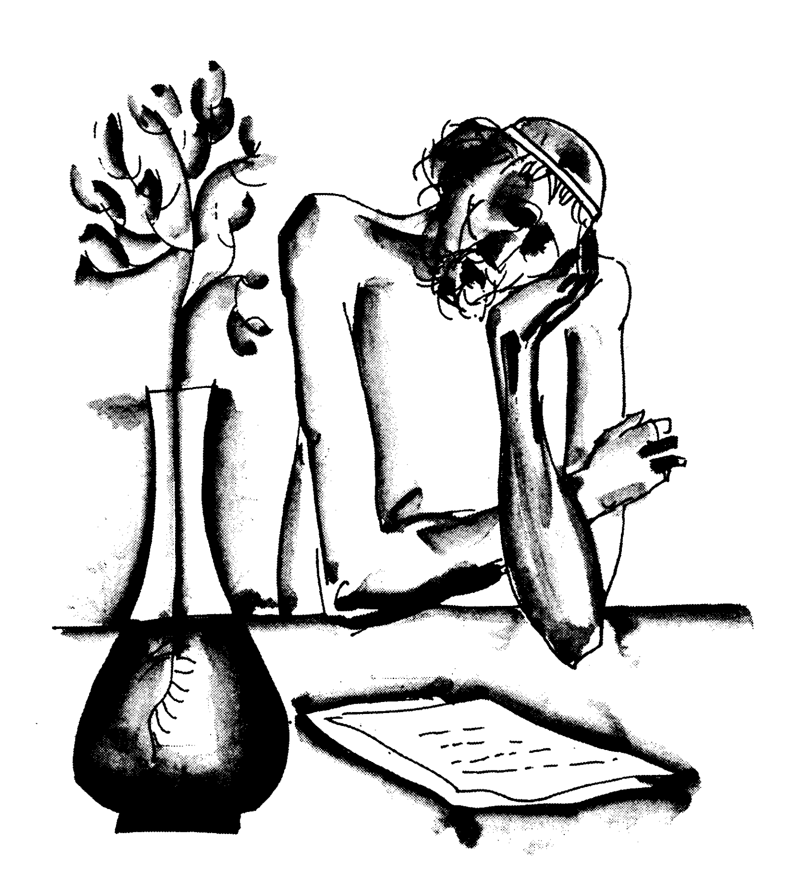
---

* النص هنا مبتور النهاية .

٢٣ ـ عن عدم الوثوق بالغنى

تخيلوا سفينة مليحة صنعت بأيدٍ ماهرة ، حسنة بناء الداخل رائعة زينة الخارج ، بدفة تستجيب للمسة وقلع مشدود وسارية عالية وأسطح متألقة زاهية وأشرع لامعة . هي ، في كلمة ، مزودة بكل عدة تؤدي غرض العمل أو تبهج النظر . تخيلوا هذا كله ، ثم تدبروا ما أسهل أن يبتلعها اليمّ حين تهب العاصفة ولا يكون قائد السفينة رباناً حاذقاً ، أو تمزقها الصخور إرباً بكل عدتها الفاخرة .

كذلك حين يدخل الأطباء بيت رجل عليل ليزوروه لا يطلب أحدهم أن يكون المريض منبسط الأسارير أو يهتم بالشرفات البديعة مزينة البيت الذين يرون ، ولا بالأسقف المزخرفة الموشاة بالذهب ، ولا بكثرة الولدان والشبان المنعَّمين الواقفين حول السرير في غرفته . بل إن الطبيب ليقتعد جانب فراش الرجل ، يتناول يده يتحسسها ، ثم يجس نبضه وحركته . فإن اكتشف اضطراباً أو اختلالاً أنبأ



مريضه بأن حالته خطيرة للغاية ، ثم يؤمر صاحبنا بالصوم .
وهو في ذلك لا يلمس حتى قطعة خبز من خزائن بيته العامرة
بأجمعها . وآنذاك يحتفل عبيده تملأهم البهجة ، غير عابئين
بحالة عبوديتهم في شيء !

٢٤) ارتجال

سألتموني أن أقدم كلمة مرتجلة ، فلتصغوا إذن . وسمعتموني أتحدث متأهباً للحديث من قبل ، فاسمعوني الآن غير آخذ أهبة له . وفي ظني أنني لا أغامر إلا قليلاً في محاولتي الكلام دونما تبصّر فيه نظراً لما لقيته من استحسان فائق نلته بأحاديثي المعدّة من قبل . ولئن كنت أرضيتكم بجهد أكثر جداً فإنني لا أخشى إزعاجكم حينما أتكلم في موضوعات تافهة لا يؤبه بها . ولكي تدركوا تنوع معارفي غير المحدودة فلتمتحنوني في ما أسماه (لوكيليوس) :

« فن الحديث المرتجل الذي لا شكل له »

وانظروا إن كنت على حذق في الوقت الضيق كما كنت عليه بعد الاستعداد ، إن كان من بينكم حقاً من لم يسمع أبداً تلك القضايا الصغيرة التي أقترع عليها فتكون بنت اللحظة . وسوف تنصتون إليها بالدقة النقدية ذاتها وإن

بلطف أكبر . ذلك لأن من عادة القضاة العقلاء أن يحكموا على الأعمال الكاملة بقدر أكبر من الصرامة ، غير أنهم يكونون أكثر لطفاً بالنسبة للمرتجل منها . فأنتم تزنون كل شيء مكتوب وتتمعنون فيه ، أما في حالة الارتجال والكلام على البديهة فإن النقد والتسامح يمضيان يداً في يد كما هو صواب أن يفعلا . فما نقرأه من كتاب يظل كما دُوِّن أول مرة ، رغم أنكم لا تقولون شيئاً ، أما تلك الكلمات التي يجب أن أنطق بها الآن ومخاض ميلادها الذي ينبغي أن تشاركوني فيه فسوف تكون مثلما يصيّرها فضلكم . إذ كلما أكثرت من تعديل أسلوبي ليوافق ذوقكم زدت في رضاكم .

أرى أنكم تسمعونني بسرور . ومنذ هذه اللحظة لكم أن تطووا أشرعتي أو تنشروها ، وآمل ألا تظل معلقة متهدلة مرخيّة ، ولا هي مضمونة مطوية !

سأحاول تطبيق قول (ارستبّوس) . وكان (أرستبّوس) هذا مؤسس مدرسة الفلسفة القورينائية وتلميذ (سقراط) ـ وهو أمر كان يعتبره الشرف الأكبر للإثنين معاً . سأله أحد الطغاة عما استفاده من دراسته الطويلة المكرسة للفلسفة فأجاب : « لقد أمدتني بالقوة على أن أحادث الناس

جميعاً دون خوف أو وجل ! » .

لقد بدأت حديثي بشيء من الاقتضاب سببه مباغتة الموضوع لي . فكنت كأنما أبني جداراً غير متماسك يكتفي المرء فيه بتكويم الحجارة كيفما اتفق دون أن يملأ تجاويفها بالطين أو يسوّي واجهة الجدار أو يطابق الأحجار بمسطرة البناء الصحيح . فلست في بنائي لهذا الحديث بجالب الحجارة من مقلعي صقيلة الجوانب ، ملساء الأطراف ، منعّمة الحد ، حتى لتنزلق الأظافر من فوقها دونما عسر . كلا . . . بل واجب علي في كل نقطة أن أضع مادة قد تكون خشنة غير مسوّاة ، أو ملساء ناعمة ، أو مثلومة الجوانب ، أو ذات زوايا ، أو ناتئة ، أو مستديرة مدحرجة .

لن يكون ثمَّ تصحيح بالمسطرة ولا قياس أو نسبة ، ولا اهتمام بأن يكون البناء عموديًّا قائماً . ذلك لأن من المستحيل أن يبدع المرء شيئاً وليد اللحظة ، ويوليه في الوقت نفسه عظيم الاهتمام . وما من شيء في الوجود يرجو أن ينال حمداً للعناية فيه ويثير الاعجاب بالسرعة التي تم بها في آن واحد !

٢٥ ـ حكاية الثعلب والغراب

لقد أذعنت لرغبة البعض ممن سألني منذ هنيهة أن أتحدث ارتجالاً . غير أنني أخشى ـ وحق هرقل ! ـ أن ألقى المصير الذي لقيه الغراب في حكاية (عيسوب) . أعني إنني في محاولتي نوال مرتبة الشرف الجديدة هذه قد أضيع القليل الذي نلته من قبل .

تسألونني : ما هي هذه الحكاية ؟ سأنقلب بسرور إلى قصاص حيناً من الزمان .

رأى غراب وثعلب قطعة خبز في آن واحد فأسرع كلاهما للحصول عليها . كان طمعهما متساوياً لكن سرعتهما كانت مختلفة . جرى أبو الحصين لكنّ الغراب طار ، وكانت النتيجة أن الطائر كان أسرع من ذي الأربع ، إذ أقلع الغراب مع الريح ومدّ جناحيه ، ففاق الثعلب سرعة وسبقه . ثم حلق الغراب ، فرحاً بفوزه في سباق الغنيمة ، إلى شجرة سرو قريبة وحطّ فوق أعلى فرع فيها حتى لا يبلغه أحد . لم

يكن بوسع الثعلب أن يقذفه بحجر ، فرماه بحيلة مكّنته منه .

جاء الثعلب إلى ساق الشجرة ووقف هناك يرى اللص سعيداً بغنيمته في الأعالي ، فصرع في إطرائه بهذه الكلمات الماكرة : « ما أغباني أن أسابق عبثاً طائر أبوللو ! إن جسمه لمتناسق بشكل رائع ، فلا هو بالضئيل الصغير ولا بالضخم الكبير ، بل في حجم يلائم الاستعمال ويتفق مع أنماط الجمال . ريشه ناعم ورأسه مدبب دقيق ، ومنقاره شديد . كلا . . . بل إن له جناحين يطارد بهما صيده ، وعينين حادتين يراه بهما ، ومخلبين يقبض بهما هذا الصيد . أما عن لونه . . . فما عساي أقول ؟ إن هناك لونين متساميين : سواد القطران وبياض الثلج . اللونان المميزان لليل والنهار . وقد وهب أبوللو هذين اللونين للطيور التي يحب . . . الأبيض للبجع والأسود للغراب . فلو إنه وهب الغراب صوتاً ، مثل ذلك الصوت الرائع الذي وهبه للبجع ، لما عاش هذا



الطائر البـديع ، سيد كل طيور الجـو ، كما هو الآن دون صوت . حبيب ربٍّ البلاغة . . . لكنه هو ذاته أبكـم دون لسان ! » .

عندما سمع الغراب هذا الكلام ،رغـم أن له صفات كثيرة ولا ينقصه إلا هذه الصفة ، تملكته الرغبة في أن يصيح بأعلى ما يستطيع حتى لا يفوقه البجع في هذا المجال على كل حال .

ناسياً القطعة التي كان يحملها بمنقاره ، فتح فمه إلى أوسع مدًى . فأضاع بغنائه ما أكسبه جناحاه ، واسترجع الثعلب بذكائه ما أضاعته منه قدماه.

فلنلخص هذه الحكاية بأقل قدر ممـكن من الـكلمات : لكي يثبت الغراب قدرته على الغناء ، إذ هيأ له الثعلب أن فقدان الصوت هو العيب الوحيد في هذا الطائر الرائع ، شرع في النعيب . فسلم الغنيمة التي حملها في فمه لعـدوّه الـذي أوقعه في الشرك !

٢٦) انتقال من اليونانية إلى اللاتينية

لقد أدركت منذ مدة ما الذي تطلبه إشاراتكم . وهو بالتحديد : إن عليّ معالجة بقية موضوعي باللغة اللاتينية .

وأذكر أنني منذ البداية الأولى ، حين كنتم منقسمين في الرأي ، وعدت إن كلا الفريقين منكم ـ أولئك المصرين على اليونانية وأولئك المتشبثين باللاتينية ـ يجب ألا يمضي دون سماع اللغة التي أحَب . فإن حسن هذا الأمر لديكم دعونا نرى أن حديثي باليونانية الفصحى ، قد طال ، وأن الوقت حان للهجرة من بلاد اليونان إلى بلاد اللاتين . فنحن الآن في منتصف بحثنا والنصف الثاني ، بقدر ما أرى ، لا يؤدي إلى القسم الأول الذي ألقيته باليونانية .

إن اللغة اللاتينية ، كاليونانية ، بالغة الحجة ، ملأى بالدعابة ، غنية البيان ، بديعة الأسلوب !

الأعلام

نـورد فيما يلي تعريفـات موجـزة لأهـم الأسماء والأمـاكن الواردة في النص إفادة للقارىء غير المتصل بها من قبل :

أبوقراط Hippocrates:

مثـال الـطبيب في العالـم . كان طبيبـاً إغـريقياً معـاصراً لسقـراط وأفلاطون ـ رغم أنه لا يعرف عن حياته ولا أعماله الكثير .

أبوللو Apollo :

من أكبر آلهة اليونان ، رغم الجهل بأصله ، وأقربهم التصاقاً بهـم وبحضارتهم . وهو رب الموسيقى والشعر والفنون والعرافة والطب . عرف من قديم وكان أحد الأرباب القلائل الذين عمت عبادتهم ولم يختص ببلد واحد في العالم اليوناني . ويصور نموذجاً للرجل المتكامل الجميل الشكل القوي الحكيم ـ تحيط به عرائس الفـن وربـاتـه . وقـد ارتبط اسمه بتأسيس المستوطنات في مراحل الحضارة اليونـانية العليا ، وكانت له معابد كثيرة من أهمها معبد « دلف» . وكان اسمه لا يذكر إلا مقروناً بالاحترام والتقديس .

ابيخارموس Epicharnus:

شاعر ساخر من « ميغارا » بصقلية ـ أوائل القرن الخامس قبل الميلاد .

أبيلليس Apelles:

رسام مشهور نبغ في « كولوفون » ثم في « أفسوس » في القرن الرابع قبل الميلاد . من أشهر أعماله رسمه للاسكندر الأكبر ووالده فيليب المقدوني . توفي في « كوس » في بداية القرن الثالث قبل الميلاد في أثناء نقله لصورة « أفروديت » . ألف كتاباً عن فن التصوير شرح فيه أسلوبه وطريقة الرسم المثلي كما يراها .

ابيمنيدس Epimenides:

عراف ومتنبيء كريتي من القرن السادس قبل الميلاد . نسبت إليه معجزات والعمر الطويل جداً ونومه ما يقرب من نصف قرن دون أن يستيقظ . تنسب إليه بعض المؤلفات في مجال العرافة وديانة جزيرة كريت .

أرساكيس Arsaces:

اسم ملك فارس القديم (القرن الرابع ق.م) إليه ينتسب ملوك « بارثيا » . وتعني كلمة Arsacidae هنا : البارثيين .

ارستبوس Aristippus:

من قورينا (شحات الآن) بليبيا . صديق لسقراط ومعاصره

وأفلاطـون . مؤسس المدرسـة القورينـائية الفلسـفية . كان معروفـاً بالدعوة إلى مذهب اللذة الآنية « الهيدونيزم » في مختلف صورها . كان له نشاط كبير في أثينا وقورينا ، وحملت ابنته « أريتي » من بعده فلسفته ولقنتها حفيده « ارستبوس الثاني » .

أريون Arion:

في الأساطير الإغريقية ينسب إلى « بوسيدون » آلة البحر ، وكان على هيئة جواد عجيب قادر على الكلام .

اسكلبياديس Asclepiades:

طبيب مشهـور من بوثينيا Pythenia في النصف الأول من القـرن الأول ق . م .

الاسكندر الأكبر Alexander the great:

(٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق . م) ابن فيليب المقدونـي ، غازي آسيا ومصر . كان تلميذاً لأرسطو الفيلسوف . وهو أشهر من أن يعرّف .

أفلاطون Plato:

الفيلسوف اليوناني المعروف(٤٢٩ ـ ٣٤٧ ق . م) تلميذ « سقراط » وصاحب (المحاورات) و(الجمهورية) وغيرها من المؤلفات المؤثرة في تاريخ الفكر البشري . ترك أثره في الفكر والفلسفة والسياسة بقدر لا ينازعه فيه أحد .

امبيذوقليس Empedocles:

فيلسوف تنسب إليه عدة مؤلفات من أهمها كتاب (التطهيرات) في

٣٥٠ بيتاً من شعر الحكمة . برز حوالي منتصف القرن الخامس ق.م شاعر ، عالم ، خطيب ، طبيب . قال بعناصر الوجود الأربعة ، وكانت فلسفته خطوة في سبيل المذهب الذري . له شهرة مدوية في الفكر اليوناني .

أناكسماندر Anaximander:

أول من كتب بحثاً فلسفياً في صيغة النثر (٥٤٦ ق.م) وكان يرى أن أصل الوجود ما سماه « المطلق . . غير المتناهي . . الخالد . . الأزلي السرمدي . . المحيط بكل العالم . . المتحكم في العوالم » . أحدث ثورة في الفلك والفلسفة . وكان أول من صور خارطة للأرض وكان يقول بنظرية التطور .

انتجنيدس Antigenides:

موسيقي مشهور في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد .

أورفيتوس Orfitus:

سكيبيو أورفيتوس Scipio Orfitus حاكم عموم أفريقيا عام ١٥٦ ميلادية .

أورفيوس Orpheus:

شخصية أسطورية عند اليونان والرومان على حد سواء . يقال أن أصله من « تراقيا » . وكان يقرن بفنائه للوحوش والقدرة على خلب ألباب الحيوانات والنباتات بل والجماد كذلك . يصور كثيراً على الأواني الفخارية والزهريات في وضع المغني للحيوانات . إليه تنسب

« الأورفية » .

أوريليوس Aurelius:

ماركوس أوريليوس Mercus Aurelius الأمبراطور والفيلسوف الروماني (صاحب القوس المعروف بطرابلس) ولد عام ١٢١ م . وتوفي عام ١٨٠ م . تولى الأمبراطورية مشاركة مع لوكيوس فيروس L. Verus من سنة ١٦٠ ـ ١٦٩ م . ثم تفرد بها بعد وفاة « فيروس » الذي كان ضعيف الشخصية والرأي .

إيلية Elea:

مدينة في جنوب إيطاليا ، أسست حوالي عام ٥٤٠ ق.م. اشتهرت بمدرستها الفلسفية .

بلاوتوس Plautus:

تيتوس ماكيوس Titus Macius Plautus الكاتب المسرحي المعروف في القرن الثاني ق.م له أعمال مشهورة منها « رودنس » التي عربها المترجم باسم (حسناء قورينا) .

بورغوتيليس Porgyteles:

واحد من أشهر نقاشي الجواهر في اليونان القديمة . ولا يعرف عنه الكثير ، فيما عدا القصة التي يرويها « ابوليوس » عنه .

بوليكراتيس Polycrates:

استولى على حكم جزيرة « ساموس » سنة ٥٤٠ ق.م. مع أخوين

له ، ثم انفرد بحكم طاغ . وفي عهده صارت « ساموس » قوة بحرية كبرى ، وضم إليه البلاد المجاورة . عقد حلفاً مع مصر وقورينا ، ثم ساعد قمبيز ضد المصريين . وقد اهتم بتحسين أحوال بلاده ، وقصده الفنانون والشعراء الذين كان يحيطهم برعايته .

بوليكليتوس Polyclitus:

مواطن من Argos كان أحد كبار النحاتين في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد . كان ماهراً في نحت تماثيل الشباب التي زيّن بها ملعب « الأولمب » ، وينسب إليه بعض المؤلفات في هذا الفن . تأثر به من جاء بعده ، وكانت تماثيله تنسخ حتى العصر الروماني .

بيزا Pisa:

(١) مقاطعة في جنوب إيطاليا .

(٢) مدينة ارتووسكية قديمة ذات أهمية في منتصف القرن الثالث ق.م. وكانت بعد ذلك حصناً رومانياً .

جوبيتر Jupiter:

رب الأرباب (أو رب السماء) عند القبائل الإيطالية القديمة ، ثم عند الرومان من بعد . يقابل « زيوس » عند اليونان .

دايدلوس Daedalus:

فنان أسطوري ماهر ، مخترع عدد هائل من الأدوات . إليه تنسب معظم الأعمال الرائعة في العالم اليوناني والكريتي وفي صقلية وسردينيا . مضرب المثل في الحذق والصنعة الفنية .

ديوجين Diogenes:

(٤٠٠ ـ ٣٢٥ ق.م) يعرف عادة باسم : « ديوجين الكلبي » وهو مؤسس الفرقة الكلبية في الفلسفة اليونانية القائلة بضرورة تخفف الإنسان من كل الأعباء والاكتفاء بأقل الزاد وتعويد الجسد الصبر على المتاعب واحتمال الشدة ، وكذلك بعدم الاكتراث بما يقول الآخرون (وهذا منشأ التسمية) . له مؤلفات مفقودة ولا يعرف سوى أسمائها وبعض شذرات منها في كتب الفلسفة وتواريخ حياة الفلاسفة . تلميذه المباشر « كراتيس » .

زرادشت Zoroaster:

أو Zarathustra مؤسس الديانة الزرادشتية في فارس القديمة ـ عرف بكتابات كثيرة تنسب إليه في ميادين الآلهيات والطبيعة والتنجيم والسحر . . الخ .

ساتورن Saturn:

في الديانة الرومانية هو رب الزراعة والبذر . يقابل كرونوس Cronos عند الإغريق .

ساموس Samos:

جزيرة عند ساحل آسيا الصغرى ، لعبت دوراً مهماً في تاريخ اليونان منذ الأزمنة القديمة .

سفيريانوس Severianus:

قنصل عام أفريقيا (١٦١ ـ ١٦٩ م)

سقراط Socrates:

(٤٦٩ - ٣٩٩ ق.م) الفيلسوف اليوناني الأشهر ، ذاك الذي (أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض) كما قيل عنه . أفكاره قدمها أفلاطون في (المحاورات) . اتهم بإفساد ديانة وأثينا وتحريف عقول شبابها فحوكم وحكم عليه بالموت بسم الشوكران . عرف بالشجاعة والتحمل ومنهج فلسفي خاص به .

طاليس Thales:

طاليس الملطي . أول وأشهر الرياضيين والفلاسفة الطبيعين اليونان . أحد « الحكماء السبعة » . برز حوالي نهاية القرن السابع قبل الميلاد .

عرائس الفن Muses:

في الأساطير اليونانية هن بنات كبير الآلهة « زيوس » . ربات الشعر والأدب والموسيقى وكل ما يتعلق بالحياة الفنية عند اليونان . اختلفت أسماؤهن واختلف عددهن عبر العصور ، والمتفق عليه أنهن تسع يصحبن « أبوللو » في أغلب الأحيان . وهن وحي الشعراء والأدباء والكتاب . ومن اسمهن جاء اسم المتحف في اللغات الأوربية Museum وكذلك اسم الموسيقى : (Music).

عيسوب Aesop:

عرف بأنه صاحب القصص الرمزية على ألسنة الحيوان . كان عبداً يعيش في جزيرة « ساموس » في القرن السادس قبل الميلاد . وقد خلدته القصص المنسوبة إليه حتى عصرنا الحاضر .

فرجيلVirgil:

بوبليوس فيرجيليوس مارو(P. Vergilius Maro) أحد أكبر شعراء اللاتين . ولد عام ٧٠ ق. م وتوفي عام ١٩ ق. م. له أشعار كثيرة وملاحم بطولية من أشهرها (الانيادة ـAeneid) وهي تنافس الأوذيسة والالياذة لشاعر اليونان « هوميروس » .

فروجيا Phryaia:

اسم بلد كان يقع في السهل الأوسط والجزء الغربي من آسيا الصغرى .

فيثاغوراسPythagoras:

أحد كبار الفلاسفة اليونان ، صاحب فرقة تنسب إليه . مزج الفلسفة بالرياضيات والآلهيات بتعاليم الديانات الشرقية القديمة . أول من حدد ووضع مصطلح « الفلسفة » ـPhilosofia « محبة الحكمة » . لمح حوالي منتصف القرن السادس قبل الميلاد .

فيرسيدسPherecydes:

من مدينة « سايروس »Syros ـ أواسط القرن السادس ق.م. مؤلف ومفكر خلط الأسطورة بالفلسفة ، وخاصة في مسألة أصل الوجود .

فيلمون Philemon:

(٣٦٨ ـ ٢٦٣ ق.م) شاعر أصله من سيراكوزة أو صقلية . برز في (الكوميديا الجديدة) وفاز في عدة مسابقات . حصل على المواطنية

الاثينية يقال إنه عاش حتى جاوز المائة عام وكان مع هذا جم النشاط العقلي . ذكر « بلوتارك » أنه زار « قورينا » بدعوة من ملكها « ماغاس » وظل بها مدة .

فينوس Venus:
ربة الحب والجمال عند الرومان تقابل « أفروديت Aphrodite» عند اليونان .

قمبيز Cambyses:
ابن « قورش الأكبر » ملك فارس (٥٣٠ ـ ٥٢٢ ق.م) من أعماله غزو مصر سنة ٥٢٥ ق.م. وإرساله حملة من جيشه إلى « سيوة » حيث ضاعت الحملة عن آخرها في الصحراء .

كراتيس Crates:
(٣٦٥ ـ ٢٨٥ ق.م) فيلسوف كلبي هو تلميذ مباشر لديوجين . تزوج من « هيباركيا : ـ Hipparchia» بعد أن استمالها وآخاها إلى مذهبه . كان مهتماً بالدعوة إلى الفقر الاختياري ، والمصالحة بين المتخاصمين ، ومواساة الآخرين عند الشدة . كان محبوباً للغاية حتى كتب الناس على أبواب منازلهم : « مرحباً بكراتيس . . الروح الطيب ! » كتب كثيراً في الدعوة إلى مذهبه ، ومن رسائله تتضح سيطرة روح العالمية على فلسفته .

كروتون Croton:
مدينة عريقة في أقصى غرب الجزيرة الإيطالية بقربها معبد « هيرا

«Hera» الشهير كانت ذات ميناء حيوي . شاركت في الحروب الرومانية حتى عهد حملة « حنا بعل » .

كريوفولوس Creophylos:

شاعر ملحمي قديم . زوج ابنة الشاعر « هوميروس » .

كسينوفون Xenophon:

(٤٢٨ ـ ٣٥٤ ق.م)

المؤرخ الأثيني المعروف . له مؤلفات كثيرة مشهورة .

كسينوكراتيس Xenocrotes:

لعلــه « كسينوفــانيس Xenophanes» الــذي اشتهــر حوالي (٥٠٠ ق.م) وكان مؤسس المدرسة الايلية .

كيريس Ceres:

ربة الغلال عند الرومان وتقابل « ديمتر Demeter» عند اليونان .

لوكيليوس Lucillius:

« غــايوس لوكيليوس Gaius Lucillius» شاعــر متنــوع النتـاج . أواخر الثاني قبل الميلاد . كان من أسرة نبيلة . أثر في من جاء بعده من الشعراء اللاتين .

ليوداميس Leodames:

لا يعرف عنه شيء . ولعلها زلة لسان من « أبوليوس » ، وهو يقصد

« هيرموداميس Hermodames الذي يقرر « ديوجين اللائرتي » إنه من نسل « كريوفولوس » (الكتاب الثامن - فقرة ٢) .

مارس Mars:

إله الحرب عند الرومان . يلي « جوبيتر » مباشرة في الأهمية . سمي باسمه شهر « مارس » .

مارسياس Marsyas:

شخصية خرافية ذات أصل آسيوي في الغالب ، ربط الإغريق بينها وبين بعض مجاري الأنهار . وتقول الأسطورة أن « فينوس » اخترعت آلة النامي الموسيقية وعزفت بها ، ثم ألقتها جانباً لأن النفخ فيها كان يشوه جمال وجهها ، فأسرع « مارسياس » إلى التقاطها وتعلم العزف عليها . ثم تحدى آلة الموسيقى « وابوللو » في العزف ، وكان الرهان أن يفعل الفائز بخصمه ما يشاء . فلما فاز « ابوللو » سلخ جلد « مارسياس » حيّاً .

وتضيف الأسطورة أن نهر « مارسياس » المعروف قديماً في اليونان كان من دمه ، أو هو بفعل دموع النائحين عليه .

ملطة Miletus:

أقصى المدن الايونية جنوباً في آسيا الصغرى . تتصل بالحضارة الكريتية ثم اليونانية حتى عصر الرومان . كانت ذات أهمية بالغة في العصر القديم ، منافسة لأثينا في بعض العهود .

منيرفا Minerva:

ربة المهارات عند القبائل الإيطالية القديمة في الأصـل ، في مقابـل الربة « أثينا » اليونانية . انتشرت عبادتها مع نشأة وتطور الأمبراطورية الرومانية ، وكان لها شأن عظيم في أثناء الحرب البونية . كان لعبادتها احتفال جليل يبدأ يوم الثالث عشر من شهر يونيو ويستمر خمسة أيام ، ثم يختم بيوم احتفال عازفي المزامير المحترفين .

ميركوري Mercury:

في اللاتينية : ميركوريوس Mercurius ـ يقابل هرمس Hermes عند اليونان . رب التجارة والتجار عند الرومان ، ومن اسمه أخذت الكلمات التجارية في اللاتينية واللغات الأوربية المشتقة عنها .

ميناندر Menander:

المؤلف المسرحي المبرز في القرن الرابع قبل الميلاد في مجال (الكوميديا الجديدة) . ترك ما يزيد عن مائة مسرحية فقد معظمها وبقـي القليل منها . كان له تأثير كبير في المسرح اليوناني واللاتيني ، وكان يتنـافس بجدارة هو و« فيلمون » .

هبياس Heppias:

من مدينة « اليس Elis» سوفسطائي ، معاصر أصغر لبروتاغوراس (٤٨٥ ـ ٤١٥ ق.م) . عرف بالثروة والتجوال المتواصل عبـر البـلاد اليونـانية معلماً وخطيبـاً . كان بارعـاً في الـرياضيات والفلك والنحـو والشعر والموسيقى وتاريخ عصر البطولات . كما كانـت معروفـة عنـه مهارته في جملة صناعات يدوية .

هرقلHercules:

في اليونانيةHeracles. كان أحد أبطال الأساطير اليونانية مشهوراً بالقوة البدنية الخارقة للعادة . تحول عند الرومان إلى معبود له قداسة الآلهة .

هوميروسHomer»

شاعر الإغريق الأشهر . مؤلف« الأوذيسة » و« الألياذة » ليس محدداً تاريخ حياته .

يونو Juno:

ربة إيطالية مختصة بالاخصاب ، حامية المرأة . تقابل « هيراHera» عند اليونان .

المحتويات

جورج يوسف المرشي

صدر من سلسلة كتاب الشعب

لسنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

العنوان	المؤلف
١ - أغاني العلم	عياد موسى العوامي
٢ - يقظة الضمير	عبدالحميد المجراب
٣ - عرس الثورة	جمعه المهدي الفزاني
٤ - فلسطين والكتاب المقدس	ترجمة د. عمر التومي
٥ - الأمثال الشعبية	تجميع محمد حقيق
٦ - (١٤ قصة) من مدينتي	كامل حسن المقهور
٧ - هوامش على تذكرة سفر	محمد الزوي
٨ - معارك الغد	أحمد ابراهيم الفقيه
٩ - تاريخ المسرح في الجماهيرية	المهدي أبوقرين
١٠ - أحزان اليوم الواحد	محمد علي الشويهدي
١١ - قراءات في الأدب	د. صالح أبو أصبع
١٢ - كليلة ودمنة ومقتل ابن المقفع	محمد أحمد وريث



الثمن
١٠٠ درهم